مسكينةٌ مزّقوها ... مابين ظُفْرٍ ونـاب
لو كان في النّفس خوفٌ ... من ربّ يوم الحساب
أو كان في القلب شوقٌ ... إلى جزيل الثّواب
لكان طهرٌ وحبٌّ ... وعفّةٌ في الصِّحاب
وعشُّ طهرٍ ودفءٍ ... تهفو إليه الكَعاب
ماذا دهى القومَ إنّي ... أرى قطيع الذّئاب
أرى لساناً تدلّى ... رغم الهَوَى والشّراب
الماء ملحٌ أجاجٌ ... وغُصّة بل عذاب
وليس عذباً فُراتاً ... وليس ابن السّحاب
ما أدرك القوم ماءً ... بل أمسكوا بالسّراب
ومن شرورالبلايا ... ومن عجيب العُجاب
أن يُنْكروا طهر ثوبٍ ... أن يهزءوا بالحِجاب

إنّ ربّ العزّة يبيّن لنا أنّه جلّ وعلا أنزل علينا لباساً يواري سوءاتنا وريشا : « فاللّباس ستر العورات وهي السّوءات ، والرّياش والرّيش ما يتجمّل به ظاهراً . فالأوّل من الضّروريّات والرّيش من التكملات والزّيادات »[1] إنّ هذين النّوعين من اللّباس يمثّلان على التّوالي الحقّ أو الحقيقة والجمال . وإنّ إنزال اللّباس والرّياش يذكّرنا بقول الشّاعر :

إذا نزل السّماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا[2]

والمعنى إذا نزل المطر لأنّه ينزل من السّماء . ومعنى القول : ﴿ قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشا ﴾ قد أنزلنا من السّماء ماءً فأحيينا به الأرض بعد موتها وأنبتنا به من كلّ الثّمرات ممّا يأكل النّاس والأنعام وعملتم من الأصواف والأوبار والأشعار ثياباً ورياشا . وبهذا يتبيّن البلاغة بالحذف في الآية الكريمة .

وإنّ الجارّ والمجرور : ﴿ قد أنزلنا عليكم ﴾ ينبّه إلى نزول الماء من السّماء علينا وإلى كون اللّباس والرّياش علينا . فللجارّ والمجرور دورهما وفضلهما في جعل المنفصلين متّصلين والمتباعدين متقاربين .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٠٧/٢ .

(٢) انظر الموازنة بين أبي تمّام والبحتريّ للآمدي ٣٤/١ .

وهذا الجمع بين المتباعدين ، والتّحوّل من الضّروريّ إلى الكماليّ ، من ثياب الكمال إلى رياش الجمال خير مهيّءٍ وموطّىءٍ للتّحوّل إلى نوعٍ ثالثٍ من اللّباس أكثر كمالاً وأبهى جمالاً وأقرب إلى الحقّ وأدنى إلى الخير . وهذا النّوع من اللّباس هو لباس التّقوى الوجه الآخر للإحسان بأن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك .

إنّ اللّباس والرّياش من آيات الله تعالى الدّالّة على قدرته جلّ وعلا المطلقة وعلى استحقاقه وحده لا شريك له العبادة لعلّ بني آدم يتذكّرون ويتّعظون فباللّباس يستترون وبالرّياش يتحلّون ويتجمّلون ، وبلباس التّقوى يطهرون ويسمون . ومن البيّن أنّ اللّباس الثّالث معنويّ .

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾

على غرار الآية الكريمة السّابقة تبدأ الآية الكريمة بمخاطبة بني آدم الّذين كرّمهم الله تعالى وحملهم في البّر والبحر ورزقهم من الطّيّبات وفضّلهم جلّ وعلا على كثير ممّن خلق تفضيلا فلعلّهم يقومون بما يجب عليهم من شكرٍ لله تعالى بعبادته جلّ وعلا وحده لا شريك له والامتثال لأوامره تعالى ونواهيه : ﴿ يا بني آدم ﴾ ومن البيّن أنّ هذا النّوع من النّداء للإنسان أكرم نداءٍ له هذا بالإضافة إلى قدرة الاسم ﴿ آدم ﴾ على تنبيه الذّرّيّة إلى النّعم الّتي منحها الله تعالى أباهم ولم يسلبهم جلّ وعلا إيّاها .

وتنهي الآية الكريمة بني آدم أن يفتنهم الشيطان . والفتنة بمعنى الاختبار والابتلاء . فإن كانت من الله تعالى فهي حكمة وإن لم تكن من الله تعالى ولم تكن على منهاجه جلّ وعلا كانت بعكس ذلك كفتنة الشيطان بمعنى خديعته وضلاله[1] والمعنى : لايفتننّكم الشّيطان فتنةً كفتنة إخراج أبويكم من الجنّة ، آدم وحوّاء عليهما السّلام . وتنصّ الآية

(١) انظر هنا مفردات الرّاغب الأصفهاني « فتن » ٣٧٢ .

الكريمة على أحد الأهداف اللّئيمة للّعين : ﴿ ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ﴾ وهل يقنع اللّعين في إغرائه بالتّكشّف والعري بأقل من نزع الثّياب كاملة ليريهما سوءاتهما وأخصّ خصائصهما بل ليري كلّ عابر سبيلٍ ذلك من أجل ارتكاب كلّ منكر ؟ لقد نجح اللّعين في تحقيق كلّ ذلك سلمّ الله ديار الإسلام من هذا البلاء المنتشر الدّاهم ووفّق دعاة الإسلام لنشره في الخافقين فإنّه الدّواء الوحيد النّاجع لتلك الأمراض المستعصية .

وانظر إلى جملة : ﴿ ينزع ﴾ الّتي تستعملها الآية الكريمة . إنّ قوله تعالى : ﴿ والنّازعات غرقا ﴾ والمعنى : أقسم بالملائكة الّتي تنزع بشدّة أرواح الكافرين وتغرق في النّزع وقوله تعالى : ﴿ إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحسٍ مستمرّ . تنزع النّاس ﴾ والمعنى تقلع النّاس من مقرّهم لشدّة هبوبها[1] إنّ كلّ ذلك يفيد جراءة اللّعين وعنفه في نزع اللّباس عن بني آدم .

وإذا كان آدم وحوّاء عليهما السّلام يريان اللّعين فإنّ بني آدم لا يريانه بإرادة الله تعالى ، وهنا تقرّر الآية الكريمة هذه الحقيقة في معرض التّحذير من اللّعين .

وبما أنّ اللّعين ينجح في إغواء فريقٍ من بني آدم فإنّ الآية الكريمة تبيّن أنّ هذا الفريق من بني آدم أولياء الشّيطان ، وأنّ الشّيطان وليّهم . ويفهم ضمناً أنّ الّذين ينتصرون على الشّيطان بعونٍ من الله تعالى وفضل هم أولياء الله تعالى وأنّ الله تعالى وليهم وناصرهم .

وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

ممّا له علاقةٌ بنزع الشّيطان عن بني آدم لباسهم ليريهم سوءاتهم ما كان يفعله العرب ما عدا قريشاً من فاحشة الطّواف بالبيت عراةً وكانت حجّتهم في ذلك أنّهم لا يطوفون في ثيابٍ عصوا الله تعالى فيها فإمّا أن يعطي الحُمْس وهم قريشٌ ثياباً للطّائفين وإمّا أن تكون ثياب الطّائفين جديدةً وإلاّ طافوا بالبيت عراةً كما ولدتهم أمهاتهم وأكثر ما كان النّساء يطفن عراةً باللّيل . إنّ الآية الكريمة تصف هذا العمل بأنّه فاحشة عن ابن

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني ٤٨٨ .

عبّاس : وإذا فعلوا فاحشة . قال : طوفهم بالبيت عراة[1] فإذا أنكر على الطّائفين عراةً بالبيت منكر قالوا إنّا وجدنا آباءنا يفعلون ذلك ونحن نقتدي بهم ونهتدي وزعموا أنّ الله سبحانه وتعالى أمرهم بارتكاب تلك الفاحشة وهم كاذبون .

إنّ الآية الكريمة تأمر المصطفى ﷺ أن يقول لهم ولأمثالهم الّذين يأتون الفواحش إنّ الله سبحانه وتعالى لا يأمر بالفحشاء ولا يأمر خلقه بقبائح الأفعال ومساويها[2] .

وفي هيئة الاستفهام الإنكاريّ يقال الّذين يقولون على الله تعالى ما لا يعلمون : ﴿ أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ .

قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾

طاف كافرو العرب بالبيت عراةً وزعموا أنّ الله سبحانه وتعالى أمرهم بذلك فأكذبتهم الآية الكريمة السّابقة وأمرت المصطفى ﷺ أن يقول لهم : ﴿ إنّ الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ وفي هذه الآية الكريمة يبيّن ما أمر الله تعالى به فيؤمر المصطفى ﷺ أن يقول لهم إنّ الله سبحانه وتعالى أمر بالقسط والعدل . وانظر إلى لفظ الرّبّ الدّالّ على الخصوص المنبّه على نعم الله تعالى وآلائه ووجوب القيام بالشكر له والدّالّ على جوّ الودّ والرّحمة . وحينما يكون معنى القول : ﴿ قل أمر ربّي بالقسط ﴾ أقسطوا يكون ما بعده امتداداً للأمر من الله تعالى : ﴿ وأقيموا وجوهكم عند كلّ مسجد وادعوه مخلصين له الدّين ﴾ .

وإنّ لفظ الوجه يعني سائر جسد الإنسان باعتبار الوجه أشرف الأجزاء فحينما يستقيم الوجه في وجهته يستقيم سائر الجسد وإنّ لفظ المسجد الدّالّ على مكان العبادة في الإسلام وحده يعني من ناحيةٍ أنّ الإسلام ناسخٌ لسائر الأديان وعليه فاستقامة الوجه إلى الله تعالى ينبغي أن تكون وفق تعاليم دين الإسلام الّذي بعث الله تعالى به محمّداً ﷺ ويعني من ناحيةٍ أخرى ، لعلاقته بحالة السّجود الّتي يكون العبد معها قريباً من ربّه جلّ

---

(١) تفسير الطّبريّ ٨/١١٤ .

(٢) تفسير الطّبريّ ٨/١١٤ .

وعلا بأكثر من الحالات الأخر للعبادة ، يعني أنّ كلّ أنواع العبادة ينبغي أن تتّجه إلى الله تعالى وحده لا شريك له ابتداءً بالسّجود ويعني من ناحيةٍ ثالثة وجوب عمارة المساجد معنويّاً ومادّيّاً .

وإذا كان سجود الوجه في كلّ مسجد وعند كلّ مسجد رمزاً لكلّ شعائر العبادة الّتي يجب أن تتّجه إلى الله تعالى وحده لا شريك وفق توجيهات الشّارع الحكيم فإنّ هذا القول : ﴿ وادعوه مخلصين له الدّين ﴾ يُعْنى بالباطن فيجب أن تكون العبادة خالصةً لله تعالى وحده لا شريك له خالصةً من كلّ أنواع الشّرك . وكأنّ الآية الكريمة تشير إلى الشّرطين لقبوله جلّ وعلا عبادة عبده منّاً منه تعالى وفضلاً ، بأن تكون مظاهر العبادة موافقةً لما أمر به الشّارع الحكيم فلا نقص ولا زيادة ، وبأن تكون هذه العبادة خالصةً لله تعالى وحده لا شريك له .

وتختم الآية الكريمة بالقول : ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ والمعنى كما بدأكم ربّكم جلّ وعلا وأخرجكم من بطون أمّهاتكم عراةً لا تعلمون شيئاً تعودون بالبعث إلى الحال الأولى . عن ابن عبّاس قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظةٍ فقال : يا أيّها النّاس إنّكم تحشرون إلى الله حفاةً عراةً غُرْلاً كما بدأنا أوّل خلقٍ نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين . وهذا الحديث مخرّجٌ في الصّحيحين[1] .

فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

إنّ الله سبحانه وتعالى الّذي خلقنا ابتداءً في هذه الحياة الدّنيا يخلقنا عودة يوم القيامة ووقتها سيكون النّاس فريقين ، فريقاً هدى الله سبحانه وتعالى وهم المؤمنون وفريقاً حقّ عليهم الضّلالة ولزمتهم الغَواية وهم الكافرون الّذين اتّخذوا الشّياطين أولياءهم من دون الله تعالى ونصراءهم والمصيبة الكبرى والبليّة العظمى أنّهم يظنّون أنّهم مهتدون وأنّ المؤمنين ضالّون . وحينما يتّخذ الكافرون الشّياطين أولياءهم يتّخذهم الشّياطين كذلك أولياءهم .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٠٨ .

أمّا المؤمنون فإنّ وليّهم الله تعالى ورسوله والمؤمنون . قال تعالى[1] : ﴿ إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون ﴾ وقال تعالى[2] : ﴿ ذلك بأنّ الله مولى الّذين آمنوا وأنّ الكافرين لا مولى لهم ﴾ .

وفي صحيح مسلم أنّ رسول الله ﷺ قال يقول الله تعالى : إنّي خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشّياطين فاجتالتهم عن دينهم[3] .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

نزع اللّعين عن آدم وحوّاء عليهما السّلام لباسهما ليريهما سوءاتهما ونزع اللّعين عن غير المؤمنين بعامّة عرب الجاهليّة بخاصّة لباسهم وبخاصّة حينما يطوف العرب بالبيت الحرام عراةً ، الرّجال نهاراً والنّساء ليلاً . ويأمرنا الله سبحانه وتعالى بأن نحذر اللّعين بشأن اللّباس بعامّة وبشأن المساجد بخاصّة ابتداءً بالمسجد الحرام الّذي انتهك العراة حرمته . وإنّ جوّ السّجود يحفّ بنا من كلّ جانب ابتداءً بأمر الله تعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم ومروراً بأمرنا أن نقيم وجوهنا عند كلّ مسجد والآن تأمرنا الآية الكريمة بأن نأخذ زينتنا عند كلّ مسجد . ومن البيّن أنّ الزّينة تتجاوز اللّباس السّاتر إلى اللّباس الكامل الفاضل الّذي يليق بكلٍّ من الجنسين . وبهذا يتبيّن أنّ الآية الكريمة في الأمر بالزّينة تضيف جديداً فالزّينة لباسٌ وكمالٌ وجمال ، ولا تقتصر على المسجد الحرام وحده الّذي لم يعطه العراة حقّه إنّما هضموه حقّه بل تشمل كلّ مسجد ، ثمّ إنّ التزيّن شيءٌ مأمورٌ به بقوّة ، لأنّ جملة ﴿ خذوا ﴾ أمرٌ من ناحية وأمرٌ بالأخذ الّذي تقترن به الصّرامة والقوّة والشدّة قال تعالى[4] : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوّة ﴾ وقال تعالى[5] : ﴿ وكذلك أخذ ربّك إذا أخذ القرى وهي ظالمة . إنّ أخذه أليمٌ شديد ﴾ .

---

(١) سورة المائدة ٥٥ .

(٢) سورة محمد ١١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢٠٩/٢ واجتالتهم بمعنى حوّلتهم عن قصدهم .

(٤) سورة البقرة ٦٣ .

(٥) سورة هود ١٠٢ .

والتّزين يعني الحشمة والوقار . والزّينة لها حدودٌ لا ينبغي أن تتخطّى ، وهى حدود نستفيدها من الأمر في الآية الكريمة أمر إباحةٍ بالأكل والشّرب مع النّهي عن الإسراف والنّصّ على أنّ الله سبحانه وتعالى لا يحبُّ المسرفين . إنّ الأكل والشّراب مباحان وهنالك نهيٌ عن الإسراف فيهما ومن باب الأولى أن ينسحب النّهي عن الاسراف على الزّينة الّتي يؤدّي الإسراف بشأنها وتجاوز المعقول والمنقول إلى ما لا تحمد عقباه . ويفهم من الأمر بأخذ الزّينة عند كلّ مسجد ما ينبغي أن تولي به المساجد من عناية وخدمة .

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

تأمر الآية الكريمة المصطفى ﷺ أن يقول للّذين حرّموا زينة الله تعالى الّتي أخرجها جلّ وعلا لعباده وأرشدهم وهداهم إليها وحرّموا الطّيبات من الرّزق والحلال من المطاعم والمشارب وأن يسأل في إنكار : من حرّم زينة الله تعالى الّتي أخرج جلّ وعلا لعباده وحرّم الطّيّبات من الرّزق ؟ وبما أنّ الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك هو المحلّل والمحرّم فمعنى ذلك أنّ السّؤال لا جواب عليه وهنا يتمّ تحوّلٌ في الآية الكريمة إلى تقرير أحقّيّة المسلمين لها وفي هذا التّحوّل جوابٌ ضمنيّ على السّؤال . وهنا يؤمر المصطفى ﷺ كما أمر في صدر الآية الكريمة بأن يقول إنّ الزّينة والطّيّبات من الرّزق والحلال من الطّعام والشّراب للّذين آمنوا في هذه الحياة على جهة الاستحقاق وإن شاركهم فيها المشركون بينما هى خالصةٌ يوم القيامة للّذين آمنوا لأنّ الجنّة والنّعيم المقيم فيها خاصٌّ بالمؤمنين .

وتقرّر الآية الكريمة أنّ في مثل هذه الطّريقة من التّبيين والتّفصيل يفصّل جلّ وعلا الآيات لقومٍ يعلمون عن طريق استخدام عقولهم استعمالاً صحيحاً وتدبّر آيات الله تعالى وتصديق رسوله محمّد ﷺ .

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

على غرار أكثر من آيةٍ سابقة تبدأ الآية الكريمة بجملة : ﴿ قل ﴾ آمرةً المصطفى ﷺ أن يقول لأولئك الّذين حرّموا ما شاءوا دون علمٍ وأن يتلوا ما أوحى الله تعالى إليه من قرآنٍ وأن يبيّن ما حرّم الله تعالى الّذي له وحده دون سواه الخلق والأمر ، فهو جلّ وعلا الّذي يحلّ والّذي يحرّم لا معقّب لحكمه ولا رادّ لقضائه .

والآية الكريمة تحصر الأمور الكلّيّة الّتي حرّمها تعالى فتقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى حرّم الفواحش والكبائر كالزّنا ما ظهر منها وما بطن ما ارتكب منها علناً وما ارتكب سرّاً ، وحرّم الإثم والّذنب ، وحرّم البغي والعدوان والطّغيان . ومع أنّ البغي دائماً بغير حقّ فإنّ في القول : ﴿ بغير حقّ ﴾ تنبيهاً إلى أنّ الباغين أنفسهم لو سئلوا عن سبب بغيهم لما وجدوا مبرّراً لبغيهم ، وحرّم جلّ وعلا أن نشرك بالله ما لم ينزّل به سلطاناً ولا حجّة . وذلك دليلٌ على أنّ كلّ أنواع الشّرك حجتها داحضة وأدلّتها واهية ، وحرّم جلّ وعلا أن نقول على الله تعالى ما لا نعلم في مجال الحلال والحرام . وإنّ الّذي يلفت الانتباه حقّا لفظ الرّبّ في قوله عزّ من قائل : ﴿ قل إنّما حرّم ربّي ﴾ بسبب ما ينطوي عليه هذا اللّفظ من أجواء الودّ والرّحمة والامتنان وفي ذلك التنّبيه إلى أنّ هذا الرّبّ الودود إنّما يحرّم على عباده الخبائث وقد نصّت الآية الكريمة على أمّهاتها .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾

الآية الكريمة تشمل كفّار مكّة ومن شاكلهم من الأمم الّتي وقفت موقف المناوىء من الدّعوة إلى صراط الله تعالى العزيز وتبيّن أنّ لكلّ أمّةٍ من الأمم المكذّبة رسلها المعاندة ربّها أجلاً قد أجّله الله تعالى لعذابها ووقتاً عيّنه الله تعالى لأخذها أخذ عزيزٍ مقتدر . فإذا جاء ذلك الوقت وحان الأجل لا يستأخرون ساعةً عنه لتوبةٍ أو معذرة ولا يستقدمون عنه كي تقوم عليهم الحجّة بفترة الأمد وطول الإمهال .

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾

على غرار العديد من آيات هذا القسم تبدأ الآية الكريمة بنداء بني آدم . ولا يخفى ما ينبغي أن يكون لكريم هذا النّداء من أثرٍ حسنٍ في بني آدم وتنبيهٍ لطيف لهم على وجوب القيام بحمل الأمانة خير قيام . والآية الكريمة تخاطب بني آدم قائلة : إن يأتكم رسلٌ من جنسكم ويجئكم مبعوثون منيّ يقصّون عليكم آياتي ويتلون عليكم كتابي فمن اتّقى المعاصي منكم وأصلح عمله وسريرته فلا خوفٌ عليهم فيما يستقبلون بعد هذه الحياة من موتٍ وبعثٍ وحساب ولا هم يحزنون على ما تركوا وراءهم في هذه الحياة الدّنيا من أحبابٍ وأصحاب وجاهٍ وسلطان لأنّ الآخرة في حقّهم خيرٌ من الأولى .

وأمّا الّذين كذّبوا بآياتنا الّتي بعثنا بها رسلنا واستكبروا عنها فجحدوا بها واستكبروا عن الامتثال لها والعمل بها فأولئك أصحاب النّار وأهل جهنّم هم فيها خالدون : ﴿ لا يُقْضى عليهم فيموتوا ولا يخفّف عنهم من عذابها ﴾[1] .

(١) سورة فاطر ٣٦ .

# عذاب الظالمين المكذبين
# وثواب المؤمنين الذين يعملون الصالحات
## الآيات (٣٧ - ٤٣)

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

تذكر الآية الكريمة فريقاً من الّذين كذّبوا بآيات الله تعالى واستكبروا عنها وتقرّر أنّه لا أحد أظلم ممّن افترى على الله تعالى كذباً بنسبة الشّريك والولد إليه ككفّار مكّة ومن شاكلهم أو كذّب بآيات الله تعالى البيّنات وحججه الباهرات . إنّ أولئك الّذين ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم ينالهم نصيبهم من الكتاب ويصيبهم حظّهم المكتوب في اللّوح المحفوظ من هذه الحياة الدّنيا فيأكلون ويتمتّعون ويلهيهم الأمل حتّى إذا جاءتهم رسل الله تعالى يتوفّونهم ووصلتهم ملائكة العذاب لقبض أرواحهم قالت الملائكة لهم أين الّذين كنتم تعبدون من دون الله تعالى كي ينقذوكم ممّا أنتم فيه وممّا سيحلّ بكم . قال الظّالمون ضلّوا عنّا وغابوا وذهبوا واختفوا من أعيننا وخذلونا وشهد الظّالمون على أنفسهم أنّهم كانوا في حياتهم الدّنيا كافرين بالله تعالى مشركين معه في العبادة سواه .

قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

قد خلت من قبلكم : قد سلفت من قبلكم[1] .

(١) تفسير الطّبريّ ١٢٧/٨ .

حتّى إذا ادّاركوا فيها جميعاً : حتّى إذا تداركت الأمم في النّار جميعاً يعني اجتمعت فيها . يقال : قد ادّاركوا وتداركوا[1] وثمّة إبدال ، أصله تداركوا ، أبدلت التّاء دالاً ، ثمّ سكّنت ليصحّ إدغامها ثمّ أدخل عليها همزة الوصل ليصحّ النّطق[2] .

إنّ أولئك الّذين شهدوا على أنفسهم ساعة الوفاة أنّهم كانوا كافرين يقال لهم يوم القيامة ادخلوا فى أممٍ قد خلت من قبلكم وفي جماعات قد سلفت من الجنّ والإنس وفي جملة أهل مللٍ كافرةٍ في النّار وبئس القرار . وكلّما دخلت أمّةٌ من الأمم الكافرة في النّار لعنت أختها وشتمت الأمّة الكافرة السّابقة عليها الّتي أضلتّها وغرّرت بها . حتّى إذا تداركت الأمم في النّار وتتابعت واجتمعت كلّها فيها قالت الأمّة الأخيرة الّتي غُرّر بها للأمّة الأولى الضّالّة المضلّة هؤلاء أضلّونا يا ربّنا عن سواء السّبيل فآتهم يا ربّنا عذاباً ضعفاً من النّار بسبب كفرهم وبسبب إضلالهم غيرهم قال تعالى لكلٍّ من الأوّلين والآخرين عذابٌ ضعف ولكن لا تعلمون أنّا فعلنا بهم ذلك قبل أن تطلبوا .

وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾

إنّ الأمّة السّابقة دخولاً في النّار والسّابقة ضلالاً في الحياة الدّنيا وإضلالاً تدافع عن نفسها وتدفع تهمة إضلالها الأمّة اللاّحقة أو الأمم فتقول لتلك الأمّة فما كان لكم علينا من فضل مطلقاً فقد كنتم ضالّين مثلنا وما اهتديتم فذوقوا مثلنا العذاب بما كنتم تكسبون من ذنوب وبما كنتم تفعلون من آثام وضلالات .

---

(١) تفسير الطّبريّ ١٢٧/٨ .

(٢) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣٣٣/٤ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾

حتّى يلج الجمل : الجمل الّذي له أربع قوائم[١] ابن النّاقة أو زوج النّاقة[٢] وقيل الحبل الغليظ[٣] .

في سمّ الخياط : في ثقب الإبرة . وكلّ ثقب في عينٍ أو أنف أو غير ذلك فإنّ العرب تسميّه سَمّاً[٤] .

وأما الخياط فإنّه المِخْيطّ وهى الإبرة قيل لها خِياط ومِخْيط[٥] .

بيّنت الآيات الكريمات السّابقات حال الكافرين السّيّء ساعة الوفاة وساعة البعث والحساب . وهذه الآية الكريمة تؤكّد هذه المعانى فتقرّر أنّ الّذين كذّبوا بآيات الله تعالى فلم يؤمنوا بها والّذين استكبروا عن آيات الله تعالى فلم يعملوا بها ولم يمتثلوا لها لا تفتّح لأرواحهم بعد الوفاة ولا لأعمالهم الصّالحة الّتي لم يريدوا بها وجه الله تعالى أبواب السّماء ولا يدخلون الجنّة حتّى يدخل حبل السّفن الغليظ في ثقب الأبرة أو حتّى يدخل الجمل ذو القوائم الأربع فى ثقب الإبرة . إنّه يستحيل دخول أيٍّ منهما في ثقب الإبرة وكذلك يستحيل دخول أولئك المكذّبين المستكبرين الجنّة . إنّ في مثل ذلك النّوع من الجزاء يجزي الله تعالى المجرمين المكذّبين المستكبرين .

ومع أنّ تفسير الجمل بكلٍّ من المعنيين جائز لأنّ دخول الجمل والحبل الغليظ ثقب الإبرة مستحيل فإنّا أشدّ ميلاً إلى تفسير الجمل بالحبل الغليظ . والسّبب في ذلك أنّ تفسير الجمل بابن النّاقة أو زوجها يعني الاستحالة واليأس وعدم المحاولة ابتداءً . أمّا تفسير الجمل بالحبل الغليظ فإنّ هذا الجمل رغم غلظه هو من جنس الخيط النّحيل الّذي يلج

---

(١) تفسير الطّبريّ ٨/١٣١ .
(٢) تفسير الطّبريّ ٨/١٣٠ .
(٣) تفسير الطّبريّ ٨ /١٣١ .
(٤) تفسير الطّبريّ ٨/١٣٠ .
(٥) تفسير الطّبريّ ٨/١٣٠ .

ثقب الإبرة ، وإنّ الحمق الّذي اتّسم به الكافرون ويتّسمون به في كلّ زمانٍ ومكان والّذي يذهب بهم إلى الظّنّ بأنّه إن كان ثمّة جنّةٌ بعد الموت فإنّ لهم مكان الصّدارة فيها ، إنّ الحمق الّذي يتصف به الكافرون ويتّسمون يجعل من الوارد والمحتمل أن يحاول هؤلاء الحمقى إدخال الحبل الغليظ في ثقب الإبرة . أليس هؤلاء الّذين يظنّون أنّ الجنّة مآلهم إن كان ثمّة جنّة ؟ إنّ الفشل حليف الحمقى المغّفلين المكذّبين المستكبرين في طمعهم في دخول الجنّة وفي طمعهم في دخول حبل السّفن الغليظ في ثقب الإبرة الّذي لا يكاد يبين .

في الحديث الّذي رواه الإمام أحمد والنّسائي وابن ماجه وابن جرير واللّفظ له عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال : الميّت تحضره الملائكة فإذا كان الرّجل الصّالح قالوا اخرجي أيّتها النّفس المطمئنّة كانت في الجسد الطّيّب اخرجي حميدة وأبشري بروحٍ وريحان وربٍّ غير غضبان فيقولون ذلك حتّى يعرج بها إلى السّماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقال مرحباً بالنّفس الطّيّبة الّتي كانت في الجسد الطّيّب ادخلي حميدة وأبشري بروحٍ وريحانٍ وربٍّ غير غضبان . فيقال لها ذلك حتّى ينتهي بها إلى السّماء الّتي فيها الله عزّ وجلّ . وإذا كان الرّجل السّوء قالوا اخرجي أيّتها النّفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغسّاق وآخر من شكله أزواج . فيقولون ذلك حتّى تخرج ثمّ يعرج بها إلى السّماء فيستفتح لها فيقال من هذا : فيقولون : فلان . فيقولون : لا مرحباً بالنّفس الخبيثة الّتي كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنّه لم يفتح لك أبواب السّماء فترسل بين السّماء والأرض فتصير إلى القبر[1] .

لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

بما أنّ الله سبحانه وتعالى حرّم على المكذّبين المستكبرين عن عبادته جلّ وعلا الجنّة ، وليس يوم القيامة من دار سوى الجنّة أو النّار ، فذلك معناه أنّ النّار مصيرهم وإلى ذلك أشارت الآية الكريمة الّتي نحن بصددها . إنّ للمكذّبين المستكبرين فراشاً من جهنّم تحتهم وأغطيةً من النّار فوقهم وكذلك يجزى الله سبحانه وتعالى الظّالمين الّذين وضعوا العبادة في غير موضعها .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢١٤ ونظر ص ٢١٣ الحديث الطّويل الّذي رواه أحمد وأبو داود والنّسائيّ وابن ماجه .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾

للّذين كفروا واستكبروا فراشٌ من جهنّم تحتهم وأغطيةٌ من نارٍ فوقهم ، وفي المقابل للّذين آمنوا وعملوا الصّالحات جنّات النّعيم خالدين فيها أبدا . إنّ إيمان هؤلاء يقابل تكذيب أولئك ، وإنّ عمل هؤلاء الصّالحات يقابل استكبار أولئك . وإذا كان المؤمنون أصحابُ الجنة خالدين فيها فإنّ الكافرين أصحابَ النّار خالدون فيها كذلك . وانظر إلى رحمة الله تعالى وتفضّله على عباده حينما يفصل بين المبتدأ ﴿ الّذين ﴾ وبين الخبر ﴿ أولئك ﴾ الجملة المعترضة : ﴿ لا نكلّف نفساً إلاّ وسعها ﴾ إنّ الله سبحانه وتعالى لا يكلّف نفساً من عمل الصّالحات الاّ ما تتّسع له قوّتها ويبقى لتلك النّفس وراء ذلك فضلٌ في القوّة وسعةٌ في القدرة ووفرةٌ في العافية .

وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

تحدّث السّياق من ذي قبل عن الكافرين والنّار مصيرهم ثمّ تحدّث عن المؤمنين أصحاب الجنّة ، وها هي ذي الآية الكريمة تتحدّث عن فضل الله تعالى عليهم في الجنّة الّتي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر وذلك في مقابل النّار الّتي تلفّ الكافر من رأسه إلى أخمص قدمه .

إنّ الآية الكريمة تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى القادر على كلّ شيءٍ سينزع ما في صدور أصحاب الجنّة من غِلٍّ وعداوةٍ وحقد وسوف تجري من تحت بيتوهم الأنهار وذلك في مقابل نصيب الكافرين في جهنّم فراشهم ومهادهم .

وتجاه هذا النّعيم المقيم والخير العميم والفُضل العظيم لا يملك المؤمنون سوى أن يحمدوا

الله سبحانه وتعالى الّذي هداهم لذلك فلولا أنّ الله سبحانه وتعالى هداهم إلى الإيمان وعمل الصّالحات ما اهتدوا . وكان ذلك عن طريق رسل الله تعالى الّذين أرسلهم جلّ وعلا بالحقّ .

وفي الجنّة تناديهم الملائكة أن تلكم الجنّة الّتي وعدتموها وأورثتموها بما كنتم تعملون من صالح الأعمال الّتي تفضّل الله تعالى عليكم فقبلها وأثابكم عليها . إنّ المؤمنين أورثهم الله تعالى في الجنّة المقاعد الّتي كانت مخصّصة لأصحاب النّار لو أنّهم آمنوا وعملوا الصّالحات . روى النّسائيّ وابن مردويه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : كلّ أهل الجنّة يرى مقعده من أهل النّار فيقول : لولا أنّ الله هداني فيكون له شكراً . وكلّ أهل النّار يرى مقعده من الجنّة فيقول : لو أنّ الله هداني فيكون له حسرة . ولهذا لما أورثوا مقاعد أهل النّار من الجنّة نودوا أن تلكم الجنّة أورثتموها بما كنتم تعملون[1] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢١٥ .

# أصحاب الجنة والنار والأعراف

## الآيات (٤٤ — ٥١)

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾

دخل الجّنةَ أصحابهُا ودخل النّار أصحابها وثبت على الأعراف ، السّور بين الجنّة والنّار ، أصحابه . وهاتان الآيتان الكريمتان تتضمّنان الحوار الّذي جرى بين أصحاب الجنّة وأصحاب النّار . إنّ أصحاب الجنّة ينادون من بعيد أصحاب النّار قائلين لهم على سبيل التّقرير والتّقريع إنّا قد وجدنا ما وعدنا نحن المؤمنين ربّنا جلّ وعلا على ألسنة النّبيين من ثوابٍ حقّاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم أيها الكافرون على ألسنة النّبيين من عقابٍ حقّاً . قال الكافرون نعم . وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّاً بدليل أنّهم في النّار فعلاً . فأذّن مؤذّنٌ بينهم ونادى منادٍ بين الفريقين المتحاورين أن لعنة الله تعالى وطرده من رحمته وغضبه على الظّالمين الّذين وضعوا العبادة في غير موضعها وكفروا وصدّوا عن سبيل الله تعالى ويطلبون الطّريق معوجّة ويريدون السّبيل غير مستقيمة وهم بالآخرة غير مؤمنين وبالبعث والحساب والجزاء غير مصدّقين .

وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾

بين المؤمنين أصحاب الجنّة والكافرين أصحاب النّار حجابٌ وحاجز يمنع أصحاب النّار من دخول الجنّة . ﴿ وعلى الأعراف رجال ﴾ وهو السّور الّذي ذكره الله تعالى فقال : فضرب بينهم بسورٍ له باب باطنه فيه الرّحمة وظاهره من قبله العذاب[1] والأعراف جمع

(١) تفسير الطّبريّ ١٣٦/٨ .

واحدها عُرْف وكلّ مرتفع من الأرض عند العرب فهو عُرْف . وإنّما قيل لعرف الدّيك عرف لارتفاعه على ما سواه من جسده[1] قال السّدّيّ : إنّما سمّي الأعراف أعرافاً لأنّ أصحابه يعرفون النّاس[2] وأصحاب الأعراف قومٌ استوت حسناتهم وسيّئاتهم نصّ عليه حذيفة وابن عبّاس وابن مسعود وغير واحدٍ من السّلف والخلف رحمهم الله[3] قال حذيفة هم قومٌ تجاوزت بهم حسناتهم النّار وقصّرت بهم سيّئاتهم عن الجنّة[4] وهؤلاء أصحاب الأعراف يعرفون كلًّا من أصحاب الجنّة وأصحاب النّار بسيماهم وعلامتهم . عن ابن عبّاس قال : يعرفون أهل الجنّة ببياض الوجوه وأهل النّار بسواد الوجوه[5] إنّ أصحاب الأعراف إذا رأوا أصحاب الجنّة نادوهم أن سلامٌ عليكم وأمنٌ وطمأنينة . إنّ أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنّة لأنّ حسناتهم لم ترق بهم لدخول الجنّة وهم يطمعون أن يدخلوها لذلك هم ينظرون إلى الجنّة بباعثٍ داخليّ وتطمع أبصارهم إلى التّلذّذ بها وتطمع نفوسهم في دخولها والتّقلّب في نعيمها .

﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

أوّل ما يلفت الانتباه الفعل المجهول ﴿ صُرِفت ﴾ وذلك معناه أنّ أصحاب الأعراف تُصْرَف أبصارهم قسراً تجاه أصحاب النّار وتدار ناحية الكافرين في جهنّم بدافع خارجيّ وليس بباعثٍ داخليّ تجاه أصحاب الجنّة . ويصحّ أنّ يكون المرغم أصحاب الأعراف على أن تُصْرَف أبصارهم تلقاء أصحاب النّار ما يصدر عن القوم من صراخ وما يتبدّى في حركاتهم والتواءاتهم من ألم ويصحّ أن يكون المرغم شيئاً آخر إضافةً إلى هذا الشّيء . وفي كلّ الأحوال يفرّ أصحاب الأعراف إلى أرحم الرّاحمين ربّهم جلّ وعلا مربّيهم في الدّنيا بنعمه وآلائه قائلين ياربّنا لا تجعلنا مع القوم الظّالمين الذّين ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم .

---

(١) تفسير الطّبريّ ١٣٦/٨ .
(٢) تفسير ابن كثير ٢١٦/٢ وتفسير الطّبريّ ١٣٦/٨ .
(٣) تفسير ابن كثير ٢١٦/٢ .
(٤) تفسير الطّبريّ ١٣٧/٨ .
(٥) تفسير ابن كثير ٢١٨/٢ وتفسير الطّبريّ ١٤٠/٨ .

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾

حينما صُرفت أبصار أصحاب الأعراف تلقاء أصحاب النّار عرفوا رجالاً بسيماهم وعلامتهم وهو سواد وجوههم في النّار وكانوا قد عرفوهم في الدّنيا وهم من أسباب تباطؤ أصحاب الأعراف في الحسنات والخيرات فنادوهم قائلين : ما أغنى عنكم من النّار وما صرفكم عنها جمعكم وكثرة أعدادكم وأموالكم وما أغنى عنكم تكذيبكم بآيات الله تعالى واستكباركم عنها وعن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وتعاليكم على فقراء المؤمنين حتّى إنّكم أقسمتم لا ينال الله سبحانه وتعالى أولئك الفقراء برحمةٍ منه جلّ وعلا وفضل . لقد قيل لأولئك الفقراء من المؤمنين اليوم ادخلوا الجنّة لا خوفٌ عليكم فيما تستقبلون ولا أنتم تحزنون على الدّنيا وما فيها بينما قيل لكم أيّها المكذّبون المستكبرون ادخلوا النّار وبئس القرار .

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

يوم القيامة ينادي أصحاب النّار أصحاب الجنّة أن أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله تعالى من الطّعام . يقولون ذلك بسبب شدّة عطشهم وجوعهم وعلمهم بوفرة الطعام والشّراب لدى المؤمنين في الجنّة . والحقيقة أنّا نودّ الوقوف عند جملة ﴿ أفيضوا ﴾ لقدرتها على تصوير واقع الفريقين وما تمتلىء به نفوس الكافرين من حسرة . إنّ ممّا جرى على

لساني القول : لا يفيض النّهر إن لم يمتلىء ، يقال : فاض الماء إذا سال منصبّاً . قال : ترى أعينهم تفيض من الدّمع . وأفاض إناءه إذا ملأه حتّى أساله وأفضتُه . قال : أن أفيضوا علينا من الماء[1] .

ممّا سبق يصحّ أن يفهم معه من القول : ﴿ أن أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله ﴾ أنّ الفيض يعني الكثرة ويعني الزّيادة وأنّه مرتبطٌ أصلاً بالماء وقد لحق به الطّعام تبعاً ، وأنّ الكافرين على علمٍ بكثرة الماء والطّعام لأنّهم يرون الجنّة وتنعم أصحابها فيها ، وأنّ ما يتمنّاه الكافرون على المؤمنين أن يخصّوهم بما فاض من الماء والطّعام . والمعروف أن الفائض من الماء في عرفنا نحن البشر ينبغى التخلّص منه وإلاّ تسبّب في أذىً كبير . إنّ الكافرين يريدون من المؤمنين أن يحبوهم بهذا الفائض من الماء والطّعام والّذي هو في حكم ما يجب التخلّص منه ومن أذاه . ويكون جواب المؤمنين على الكافرين أنّ الله سبحانه وتعالى حرّم ماء الجنّة وطعامها على الكافرين أصحاب النّار الّذين اتّخذوا دينهم لهواً ولعباً سخريةً واستهزاءً وغرّتهم الحياة الدّنيا وخدعتهم بزينتها وصرفتهم عن عبادة الله تعالى وعن الجدّ فيها فاليوم ينساهم الله تعالى ويتركهم في النّار وبئس القرار كما نسوا لقاء يومهم هذا وتركوا العمل الصّالح من أجله وما كانوا بآيات الله تعالى يجحدون وبالقرآن الكريم يكفرون وللمصطفى ﷺ يكذّبون .

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني « فيض » ٣٨٧ .

الله تعالى الذي له الخلق والأمر والمعاد صرّف آيات الكتاب المفصّل

فاتّبعوه واشكروا له تفوزوا

الآيات (٥٢ - ٥٨)

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

أكثر سكّان أهل مكّة آنذاك مشركون . وهم إن لم يؤمنوا سيكونون من أهل النّار . وهذه الآية الكريمة تخاطبهم في المقام الأوّل وتقول في أسلوب القسم لقد جئنا أهل مكّة بكتابٍ فصّلناه على علمٍ منّا ووصّلنا لأولئك المشركين القرآن الكريم الّذي بيّنّاه ووضحناه على معرفةٍ منّا بكلّ دقائقه وأسراره ، حقائقه وغاياته وهو هدىً من الضّلالة ورحمةٌ لقوم يؤمنون بالله تعالى ربّاً وبالإسلام ديناً وبالقرآن دستوراً وبمحمّدٍ ﷺ رسولاً .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

كفر مشركو مكّة بالمصطفى ﷺ وبالقرآن الكريم الكتاب العزيز الّذي فصّله الله تعالى على علم . والآية الكريمة هنا تسأل : هل ينتظر كفّار مكّة ومن شاكلهم الاّ تأويل هذا الكتاب العزيز وما يئول إليه وعاقبة ما فيه وما عدوا به من جزاء يوم القيامه الّذي ينكرونه . إنّ تأويل هذا الكتاب سيكون يوم القيامة الّذي لا ينفع فيه مالٌ ولابنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم ، وفي ذلك اليوم الّذي يأتي تأويله ويحق فيه على الكافرين كلمة العذاب يقول هؤلاء الّذين نسوه من قبل وهجروه وانكروه قد جاءت رسل ربّنا بالحقّ في الحياة الدّنيا ودعتنا إلى الإيمان به جلّ وعلا والإيمان برسله وكتبه جلّ وعلا ولكنّنا كذّبنا واستكبرنا فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا في خلاصنا من الكرب الّذي نحن فيه أو هل نردّ إلى الحياة الدّنيا فنعمل أعمالاً صالحةً غير الأعمال السّيّئة الّتي كنّا نعمل . إنّ هؤلاء الكافرين قد خسروا أنفسهم في الحياة الدّنيا بتكذيبهم واستكبارهم وفي الحياة الأخرى بدخولهم النّار وبئس

القرار ، وغاب عنهم في ذلك الموقف العصيب ما كانوا يفترون على الله تعالى من شركاء وأنداد . وفي سورة الأنعام[1] جاء في هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ وُقِفوا على النّار فقالوا ياليتنا نُرَدّ ولا نكذّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين . بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو رُدّوا لعادوا الما نُهوا عنه وإنّهم لكاذبون ﴾ .

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾

يُغْشى اللّيل النّهار : الغين والشّين والحرف المعتلّ أصلٌ صحيح يدلّ على تغطية شيءٍ بشيء . يقال : غَشّيت الشّيء أغشّيه . والغِشاء : الغطاء[2] اللّيل : مفعول به أوّل منصوب . النّهار : مفعول به ثانٍ منصوب[3] .

حثيثاً: سريعاً[4] .

خسر الكافرون أنفسهم في الدّنيا والآخرة . وإنّ القرآن الكريم الّذي يهدي للطّريقة الّتي هي أحسن وأقوم يأخذ في الآية الكريمة بيد البشريّة إلى هذه الطّريقة فتقرّر الآية الكريمة أنّ ربّ العباد جلّ وعلا هو الّذي خلق وحده لا شريك له السّماوات السّبع والأرضين في ستّة أيّامٍ ، الله تعالى أعلم بحقيقة تلك الأيّام ، وما مسّ الله تعالى من لغوب ولا تعب . ثمّ استوى جلّ وعلا على العرش استواءً يليق بجلاله وعظمته جلّ وعلا . والعرش في اللّغة سرير الملك . والله سبحانه وتعالى جعل اللّيل وهو الأصل ، ولهذا تقدّم ، يغطّي

---

(١) الآية ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) معجم مقاييس اللّغة « غشى » ٤/٤٢٥ .

(٣) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٤/٣٥٤ .

(٤) تفسير الطّبريّ ٨/١٤٦ وتفسير ابن كثير ٢/٢٢٠ .

النّهار ، ويطلبه سريعاً ومن ثمّ يأتي الظّلام ويقبل اللّيل . وفي المقابل جعل الله تعالى النّهار يغطّي اللّيل ويطلبه سريعاً ومن ثمّ يأتي الضّياء ويقبل النّهار . ومن البّين أنّ العامل في اللّيل والنّهار الشّمس أوّلاً ، ولهذا جاء ذكرها ابتداءً بعد ذلك ، والمعنى وجعل الشّمس والقمر والنّجوم مسخرّاتٍ بأمره جلّ وعلا ومذلّلاتٍ بإرادته تعالى . إنّ الشّمس حينما تغيب يطلب اللّيل النّهار حثيثا ويغطّيه وهنا تظهر الكواكب ويكون للقمر دورٌ أكبر من دوره في النّهار . وحينما تشير الآية الكريمة إلى الشّمس والقمر والنّجوم ، وإلى اللّيل والنّهار قبل ذلك ، يكون معنى هذا أنّ الآية الكريمة تحدّثت عن أهم معالم السّماوات والأرض ومتعلقّاتهما وقد قال عزّ من قائل[1] : ﴿ وآيةٌ لهم اللّيل نسلَخُ منه النّهار فإذا هم مظلمون . والشّمس تجري لمستقرٍ لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعُرْجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا اللّيل سابق النّهار وكلٌّ في فلكٍ يسبحون ﴾ وقال تعالى[2] : ﴿ وهو الّذي خلق اللّيل والنّهار والشّمس والقمر كلٌّ في فلكٍ يسبحون ﴾ وقال تعالى[3] ﴿ وسخّر لكم اللّيل والنّهار والشّمس والقمر والنّجومُ مسخّراتٌ بأمره . إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون ﴾ .

إنّ الله سبحانه وتعالى الّذي خلقنا وربّانا بنعمه وخلق السّماوات والأرض والشّمس والقمر والنّجوم وكلّ ما في هذا الكون له وحده دون سواه الخلق ، وبناءً على ذلك له جلّ وعلا وحده دون سواه الأمر وقد أمرنا جلّ وعلا بعبادته وحده لا شريك له فعلينا أن نمتثل لأوامره ونجتنب نواهيه تبارك الله ربّ العالمين وتمجّد وتعظّم مربّي خلقه بنعمه وآلائه وتبارك ذو المجد والعظمة والتّعالي .

## ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

إنّ الله سبحانه وتعالى الّذي له وحده دون سواه الخلق والأمر ، والّذي بيده ملكوت كلّ شيءٍ وأمرنا بعبادته جلّ وعلا وحده لا شريك له يأمرنا في هذه الآية الكريمة بأن ندعوه

---

(١) سورة يس ٣٧ ــ ٤٠ .

(٢) سورة الأنبياء ٣٣ .

(٣) سورة النّحل ١٢ .

جلّ وعلا وهو مربّينا بنعمه وآلائه تضرُّعاً وتذلّلاً واستكانة وخفيةً وسرّاً . إنّه جلّ وعلا لا يحبّ المعتدين في كلّ شيء بما في ذلك المعتدون في الدّعاء . عن ابن عبّاس : إنّه لا يحبّ المعتدين ، في الدّعاء ولا في غيره[1] في الصّحيحين عن أبي موسى الأشعريّ قال : رفع النّاس أصواتهم بالدّعاء فقال رسول الله ﷺ : أيّها النّاس إرْبَعُوا[2] على أنفسكم فإنّكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً إنّ الّذي تدعون سميعٌ قريب[3] .

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

بيّنت الآية الكريمة السّابقة أنّ الله سبحانه وتعالى لا يحبّ المعتدين . وهذه الآية الكريمة التّالية تبيّن أحد مظاهر الاعتداء وهو الإفساد في الأرض الّذي تنهى عنه . ويأتي على رأس قائمة الإفساد في الأرض الإشراك مع الله تعالى في العبادة سواه ، ويكون الإفساد أشدّ بعد الإصلاح ، ويأتى على رأس قائمة المصلحين المرسلون المصطفون الأخيار . وحينما لا يكون هنالك إفساد يكون ثمّة إصلاح . ومن مظاهر الإصلاح والأدلّة القويّة عليه الدّعاء . وتأمر الآية الكريمة العباد بأن يدعوا الله تعالى خوفاً من عذابه وطمعاً في رحمته . وتنصّ الآية الكريمة على أنّ رحمة الله تعالى قريبٌ من المحسنين . فعلى عباد الله تعالى أن يدعوه جلّ وعلا وحده لا شريك له وأن يلحفوا في الدّعاء وإن يحرصوا على الوصول إلى مرتبة الإحسان الوجه الآخر للتّقوى . إنّ الله سبحانه وتعالى مع الّذين اتّقوا والّذين هم محسنون وإنّ رحمة الله تعالى قريبةٌ من المحسنين : « وقال قريب ولم يقل قريبة لأنّه ضمّن الرّحمة معنى الثّواب أو لأنّها مضافة إلى الله فلهذا قال : قريب من المحسنين »[4] .

---

(١) تفسير الطّبريّ ١٤٧/٨ .

(٢) يقال : إربَعْ على نَفْسك أي توقَّفْ وكفّ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢٢١/٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ٢٢٢/٢ .

وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

بين يدى رحمته : الرّحمة في هذا الموضع المطر[1]

حتّى إذا أقلّت : حتّى إذا حملت الرّياح[2] .

أمرت الآية الكريمة السّابقة أن يدعو العباد ربّهم طمعاً في رحمته جلّ وعلا وقررّت أنّ رحمة الله تعالى قريبٌ من المحسنين . وهذه الآية الكريمة التّالية تنصّ على مظهرٍ واحدٍ من مظاهر رحمته جلّ وعلا الّتي لا يحصيها عدّ وهو المتعلّق بنزول المطر . إنّ الآية الكريمة تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي يرسل الرّياح بشراً بين يدى رحمته . ويلاحظ مجيء الرّياح في صيغة الجمع فقد نصّ العلماء على أنّ المطر وليد رياحٍ متعدّدة . وهذه الرّياح مبشّرات بين يدى رحمته جلّ وعلا وقبل أن ينزل المطر بإرادته تعالى . حتّى إذا حملت الرّياح سحاباً ثقالاً بالماء واتّجهت به حيث شاء الله تعالى سقناه إلى بلدٍ ميتّ ووجّهناه إلى مكانٍ لا نبات فيه ولا زرع ، لا حياة فيه ولا ضرع . وانظر إلى لفظة ثقال ذات المدلول الضّخم والّتي تنبّه إلى الماء الثّقيل وإلى كمّيّاته الهائلة وإلى تلك الرّياح الّتي تحمل ذلك السّحاب الثّقال بإرادة الله تعالى . وانظر إلى الالتفات في القول : ﴿ سقناه ﴾ فالله سبحانه وتعالى هو الّذي يسوق السّحاب وهو الّذي يوجّه الرّياح حيث شاء جلّ وعلا . إنّ الرّياح الّتي أرسلها الله تعالى وذللّها مبشّرة بقرب نزول المطر وهطول الرّحمة إذا أقلّت سحاباً ممتلئاً بالماء ثقالاً ساقه الله تعالى لبلد ميّت فأنزل به الماء فأخرج به جلّ وعلا من كلّ الثّمرات . وينبغي أن يكون لنون الجماعة المتكلّمين الدّالّة على العظمة دورها في لفت الانتباه إلى هذه الأمور العجيبة الّتي تتمّ بإرادة الله تعالى وحده لا شريك له .

إنّ في مثل هذه الطّريقة الّتي أخرج الله تعالى فيها النّبات وأحيا الأرض الميتة يخرج

---

(١) تفسير الطّبريّ ١٤٨/٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢٢٢/٢ وتفسير الطّبريّ ١٤٩/٨ .

الله سبحانه وتعالى النّاس أحياء ببعثهم من قبورهم يوم القيامة . إنّ في إحياء الله تعالى الأرض الميتة وإخراج كلّ الثّمرات منها بالماء ذكرى وموعظةً للنّاس يستدّلون بها على البعث بعد الموت وإخراج الله تعالى الخلق من قبورهم أحياء يوم القيامة المجموع له النّاس المشهود .

﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

أشارت الآية الكريمة السّابقة إلى إنزال الله تعالى المطر بالبلد الميّت . وهذه الآية الكريمة التّالية تنصّ على نوعي التّربة الجّيدة والرّديئة في تقبّلهما الماء وإنباتهما . إنّ البلد الطّيبّ والتّربة الجّيدة يخرج نبات كلٍّ منهما حسناً بإذن ربّه جلّ وعلا . وإنّ البلد الخبيث والتّربة الرّديئة لا يخرج نبات أيٍّ منهما إلّا عسراً وبمشقّة . وإنّ هذا مثلٌ ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر وموقفهما من آي الذّكر الحكيم رحمة الله تعالى الّتي تحيا بها القلوب والّنفوس . إنّ المؤمن بمنزلة البلد الطّيّب فهو يؤمن بآي الذّكر الحكيم ويترجمها إلى عمل ويحيا بإذن الله تعالى الحياة الطّيّبة في الأولى والآخرة . وإنّ الكافر بمنزلة البلد الخبيث فهو لا يؤمن بآيات الله تعالى ويستهزئ بها ويتّخذها وراءه ظهريّاً ويحيا الحياة السّيّئة في الأولى والآخرة . وإنّ الدّليل على أنّ هذا مثلٌ ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر القول في الآية الكريمة : ﴿ كذلك نُصرِّف الآيات لقومٍ يشكرون ﴾ إنّ الله سبحانه وتعالى كما بيّن ما ذكر يصرّف آي القرآن الكريم من وعدٍ ووعيد وقصص وما إلى ذلك لقومٍ يشكرون لله تعالى نعمه وآلاءه ويقومون بما يجب عليهم من شكرٍ لله تعالى بعبادته جلّ وعلا وحده لا شريك له .

روى البخاريّ ومسلمٌ والنّسائيّ أنّ رسول الله ﷺ قال : مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها نقيّة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها النّاس فشربوا وسقوا وزرعوا . وأصاب منها طائفة أخرى إنّما هى قيعان لا تمسك ماءً ولاتنبت كلأً . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعمل ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الّذي أرسلت به[1]

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٢٢ .

# نوح عليه السلام وقومه

## الآيات (٥٩ — ٦٤)

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾

تحدّثت السّورة الكريمة في أوّلها عن آدم عليه السّلام أبى البشر . ويأتي الحديث هنا عن نوحٍ عليه السّلام باعتباره أوّل الرّسل والأب الثّاني للبشريّة . إنّ ربّ العزّة يقسم بأنّه جلّ وعلا أرسل نوحاً عليه السّلام إلى قومه الّذين انحرفوا عن الصّراط المستقيم بسبب بعد العهد بينهم وبين أبيهم آدم عليه السّلام والصّالحين من ذرّيّته فقال لقومه يا قوم اعبدوا الله تعالى وحده لا شريك له ما لكم من الهٍ غيره . إنّي أخاف عليكم بسبب شرككم وارتكابكم المعاصي عذاب يومٍ عظيم هو يوم القيامة الّذي لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون الاّ من أتى الله بقلبٍ سليم . والمعروف أنّ دعوة كلّ رسل الله تعالى واحدة هى الدّعوة إلى الإسلام وتوحيد الله تعالى وإفراده جلّ وعلا بالعباده .

قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾

تمشّياً مع قوله تعالى في سورة سبأ[1] : ﴿ وما أرسلنا في قريةٍ من نذيرٍ إلاّ قال مترفوها إنّا بما أرسلتم به كافرون ﴾ تقرّر الآية الكريمة أنّ الملأ من قوم نوحٍ عليه السّلام ، وهم جماعة يجتمعون على رأيٍ فيملئون العيون رُواءً ومنظراً والنفوس بهاءً وجلالاً[2] قالوا لنوحٍ عليه السّلام إنّا لنراك بدعوتك لنا إلى ترك ما نعبد من دون الله تعالى من أصنام وآلهة وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له إنّا لنراك في ضلالٍ مبين وانحرافٍ عن الصّراط المستقيم بيّن .

وبهذا يتبيّن أنّ هذا الملأ خالَفَ خُبْرُه خَبَرَه وخيّب أمل الرّاجي منه خيراً ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنّهم خُشُبٌ مسنّده ﴾[3] ﴿ وقالوا لا تذرُنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودّاً ولا سُواعاً ولا يغوثَ ويعوق ونسرا ﴾[4] .

---

(١) الآية ٣٤ .

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني « ملأ » ٤٧٣ .

(٣) سورة المنافقون ٤ .

(٤) سورة نوح ٢٣ .

قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

اتّهم الملأ من قوم نوحٍ عليه السّلام وأشراف القوم نوحاً عليه السّلام بأنّه في ضلالٍ مبين . وفي هذه الآية الكريمة الأولى يخاطبهم نوحٌ عليه السّلام في ألطف عبارة ﴿ قال ياقوم ﴾ ويلاحظ من ذكر لفظ القوم رغبة نوحٍ عليه السّلام في استمالة القوم فقد كان في إمكانه القفز إلى الرّدّ عليهم مباشرة دون ذكر هذه التّوطئة اللّطيفة . ويردّ نوحٌ عليه السّلام على قومه وينفي عن نفسه الضّلالة و « والضّلال والضّلالة ضدّ الهدى والرّشاد »[1] إنّ نوحاً عليه السّلام ليس به ضلالةٌ ولكنّه رسولٌ من ربّ العالمين يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وهجر الآلهة المزعومة .

وفي الآية الكريمة التّالية يبيّن عليه السّلام أنّه مأمور ومكلّفٌ بأن يبلّغ قومه رسالات ربّه جلّ وعلا . وإنّ في ذكر الرّسالات تنبيهاً إلى إنّ جوهر رسالات كلّ الرّسل واحد في كلّ زمانٍ ومكان وإلى أن يرث عزّ وجلّ الأرض ومن عليها . وإنّ في ذكر لفظ الرّب تنبيهاً إلى تربية الله تعالى عباده بنعمه وآلائه ووجوب قيامهم بالشّكر عليها بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له . وهو عليه السّلام في دعوته قومه ينصح لهم الودّ ويخلص لهم النّصح ويتحرّى ما فيه صلاحهم[2] وهو يعلم من الله تعالى ما لا يعلمون لأنّ الله تعالى اصطفاه بحمل الرّسالة .

أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾

ويستمرّ نوحٌ عليه السّلام يدعو قومه ويقول لهم في أسلوب الإنكار اكذّبتم وعجبتم

---

(١) لسان العرب « ضلل » .

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني « نصح » ٤٩٤ .

أن جاءكم فعلاً ووصل إليهم حقّاً ذكرٌ وموعظةٌ من ربّكم جلّ وعلا مربّيكم بنعمه وآلائه على لسان رجلٍ منكم لينذركم هذا الرّجل ، وهو نوحٌ عليه السّلام ، بين يدي عذابٍ شديد ولتتّقوا الله تعالى وحده لا شريك له ولترقوا إلى درجة الإحسان كما بيّنها المصطفى ﷺ بأن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك ولعلّكم ترحمون وتنالكم رحمة الله الّتي وسعت كلّ شيءٍ والّتي سبقت غضبه جلّ وعلا .

فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

تبيّن الآية الكريمة أنّ قوم نوحٍ عليه السّلام أصرّوا على تكذيبه عليه السّلام فأنجاه الله تعالى والّذين آمنوا معه ، وكانوا قليلا ، في الفلك المشحون والسّفينة الّتي أمر جلّ وعلا نوحاً عليه السّلام أن يصنعها بوحيٍ منه جلّ وعلا وأن يحمل فيها من كلّ زوجين اثنين وأهله عليه الصّلاة والسّلام من المؤمنين . لقد نجّى الله سبحانه وتعالى نوحاً عليه السّلام والّذين كانوا معه في السّفنية وأغرق جميع الّذين كذّبوا بآياته جلّ وعلا بالطّوفان الّذي غطّى كلّ مكان وغمر كلّ جبل . وتقرّر الآية الكريمة أنّ قوم نوحٍ عليه السّلام كانوا قوماً عمين ، جمع عمٍ ، أي فاقدي البصيرة . والعمى يقال في افتقاد البصر والبصيرة . ويقال في الأوّل أعمى وفي الثّاني أعمى وعمٍ[1] ومن البيّن أنّ عمى البصيرة أشنع من كلّ عمى لأنّ أعمى البصيرة يرى بكلّتا عينيه ولكنّه لعمى بصيرته لا يستطيع أن يميّز بين الحق والباطل وبين الصّواب والخطأ . بل إنّه يحلو له الباطل ويستهويه الخطأ وتلك طبيعة أعمى البصيرة أعمى القلب . وإنّ من سور القرآن الكريم الّتي أفاضت في الحديث عن نوحٍ عليه السّلام والطّوفان سورة هود وسورة المؤمنون .

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني « عمى » ٣٤٨ .

# هود عليه السلام وقومه

## الآيات (٦٥-٧٢)

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

نصّ السّياق من ذي قبل على أنّ الله سبحانه وتعالى قد أرسل نوحاً عليه السّلام أوّل الرّسل إلى قومه ، ويتحوّل السّياق إلى الحديث عن هود عليه السّلام الّذي أرسله الله تعالى إلى عادٍ قومه وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف وهى جبال الرّمل[1] وقد قال عزّ من قائل في سورة الأحقاف[2] : ﴿ واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النّذر من بين يديه ومن خلفه ألاّ تعبدوا إلاّ الله إنّي أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيمٍ ﴾ .

والآية الكريمة الّتي نحن بصددها معطوفةٌ على أولى آيات القسم السّابق والتّقدير : لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم هودا . والمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى أرسل إلى عادٍ أخاهم هوداً عليه السّلام يدعوهم إلى الله تعالى بلسانهم قال يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له ما لكم من إلهٍ غيره وما لكم من ربٍّ سواه جلّ وعلا ﴿ أفلا تتّقون ﴾ والمعنى : اعبدوا الله تعالى واتّقوه . والمعروف أنّ درجة التّقوى رفيعة فهى بمثابة الوجه الآخر من الإحسان بأن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك جلّ وعلا .

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

على عادة المترفين في كلّ أمّة الّذين يكذّبون رسل الله تعالى إليهم كذّب مترفو عاد هوداً عليه السّلام وهؤلاء هم الملأ وأشراف القوم الّذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله تعالى وقالوا لهودٍ عليه السّلام إنّا لنراك في سفاهه ونجدك في ضلالةٍ وانحرافٍ عن الصّراط المستقيم حينما تدعونا إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وترك الأصنام الّتي نعبدها والأوثان الّتي نقدّسها بل إنّا لنظنّك من الكاذبين في ادّعائك أنّك رسول ربّ العالمين ! .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٢٤ وجاء ص ٢٢٥ أنّهم يسكنون باليمن بين عمان وحضرموت .

(٢) الآية ٢١ .

قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ
ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ
جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ
فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

الآيات الكريمات الثّلاث استمرارٌ للحوار ولردّ هودٍ عليه السّلام على الملأ من قومه ولدعوته لهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له .

إنّ الآية الكريمة الأولى ينفي فيها هودٌ عليه السّلام اتّهام قومه له بالسّفه وخفّة العقل وينفي فيها اتّهامهم له عليه السّلام بالكذب فيقرّر أنّه عليه السّلام ليس به سفاهةٌ ولكنّه رسولٌ من ربّ العالمين جلّ وعلا .

وفي الآية الكريمة الثّانية يبيّن المقوّمات الثّلاثة الّتي يترتّب عليها نجاح كلّ داعية بعونٍ من الله تعالى وفضل . وهذه المقوّمات الثّلاثة هى ابلاغ الرّسالة وإيصال الدّعوة وإلى ذلك أشار قوله تعالى : ﴿ أبلّغكم رسالات ربّي ﴾ وإنّما جاءت رسالات في صيغة الجمع لأنّ رسالات كلّ المرسلين واحدة هى الدّعوة إلى دين الإسلام وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له . وينبغى أن يكون للقول : ﴿ ربّي ﴾ كبير دور في التّنبيه إلى فضل الله تعالى على عباده وتربيتهم جلّ وعلا بالنعم والآلاء ووجوب القيام بالشّكر لله تعالى على تلك النّعم والآلاء . والمقوّم الثّاني إخلاص النّصيحة وصدق النّصح . وهل يكون رسل الله تعالى إلاّ القمّة في النّصح والإخلاص . والمقوّم الثّالث الأمانة بمعنى الاجتهاد في تبليغ الرّسالة وأداء الأمانة والنّصح للأمّة . وينبغي أن يستفيد الدّعاة في كلّ زمانٍ ومكانٍ من هذه العوامل الثّلاثة الكفيلة بإذن الله تعالى بنجاح الدّاعية في مهمّته : البلاغ والنّصح والأمانة .

وفي الآية الكريمة الثالثة يسأل هودٌ عليه السّلام الملأ من قومه في أسلوب الإنكار : أكذّبتم وعجبتم أن جاءكم ذكرٌ من ربّكم وموعظةٌ على لسان رجلٍ منكم لينذركم بين يدي عذابٍ شديد ولتتّقوا الله تعالى ولعلّكم ترحمون . ومن البيّن الشّبه الكبير بين قول كلّ من

الرّسولين الكريمين نوحٍ وهود عليهما السّلام لهذا أكملنا قول هودٍ عليه السّلام بقول نوحٍ عليه السّلام في القسم السّابق . وبما أنّ قوم هودٍ عليه السّلام على علم بما حدث لقوم نوحٍ عليه السّلام لذا فإنّ هوداً عليه السّلام يأمر قومه بأن يذكروا نعمة الله تعالى عليهم إذ جعلهم خلفاء في الأرض من بعد قوم نوحٍ عليه السّلام وإذ زادهم جلّ وعلا بسطةٍ في الجسم طولاً وضخامةً . إنّ عليهم أن يذكروا جيّداً آلاء الله تعالى ونعمه وأن يشكروا لله تعالى على هذه النّعم بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له لعلّهم يفلحون ويفوزون بالحياتين الطّيبّتين في الأولى والآخرة .

قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾

على الرّغم من دعوة هودٍ عليه السّلام الكريمة قومه وكلامه العذب وإشفاقه عليهم فإنّهم أصرّوا على تكذيبهم واستكبارهم فقالوا لهودٍ عليه السّلام أجئتنا لنعبد الله تعالى وحده لا شريك له ونترك ما كان يعبد آباؤنا وأجدادنا من أصنام وأوثان . إنّ هذا الّذي يدعو إليه هودٌ عليه السّلام من إفراد الله تعالى بالعبادة أمرٌ لا مكان له مطلقاً في نفوس القوم ولا عقولهم . وإنّ الدّليل على عدم انتفاع القوم من نعمة الله تعالى عليهم بتمييزهم بالعقول وعلى عدم استعمال هذه النّعمة استعمالاً صحيحاً أنّهم يقولون : إن كان الّذي جئت به من دعوةٍ إلى التّوحيد الّذي رفضناه أمراً جئت به من ربّك جلّ وعلا فإنّا نريد الدّليل على صدقك بأن يكون متمثّلاً في أن يأتينا ما تعدنا به من عذابٍ شديد دليلاً على صدقك في دعوتك أنّك رسولٌ من ربّ العالمين .

ما أشبه هذا الموقف الأحمق من قوم هودٍ عليه السّلام بموقف كفّار مكّة من المصطفى ﷺ وقد أشار إلى ذلك قوله عزّ من قائل في سورة الأنفال[1] : ﴿ وإذ قالوا اللّهمّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السّماء أو ائتنا بعذابٍ أليم ﴾ .

---

(١) الآية ٣٢ .

قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾

تجاه حمق الكافرين وعمى بصائرهم وظنّهم إمهال الله تعالى لهم إهمالاً قال لهم هودٌ عليه السّلام قد وقع عليكم من ربّكم سخط وعذاب وحلّ بكم غضبٌ من ربكم ولعنة . أتحاجّونني في أسماءٍ سمّيتموها وتخاصمونني في أصنامٍ سمّيتموها أنتم وآباؤكم آلهة ما نزّل الله من حجّة ولا جعل لكم على عبادتها من دليل . فانتظروا العذاب الّذي طلبتموه سخريةً واستهزاءً إنّي معكم من المنتظرين كى يتبيّن أنحن أم أنتم على هدىً أو في ضلالٍ مبين .

فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

تجاه إصرار قوم هودٍ عليه السّلام على التكذيب والاستكبار والاستهانة بالعذاب والاستهتار أخذهم الله تعالى أخذ عزيزٍ مقتدر . لقد أنجى الله تعالى هوداً عليه السّلام والّذين معه على الإيمان برحمةٍ من الله تعالى وفضل وقطع الله تعالى دابر الّذين كذّبوا بآيات الله تعالى واستأصل شأفتهم لأنّهم ماكانوا مؤمنين فلا وزن لهم ولا قيمة مهما كان عددهم كبيراً وجمعهم وفيرا : « ودابر القوم الّذي يدبرهم وهو الّذي يكون في أدبارهم وآخرهم »[1] وحينما يُسْتأصل آخر القوم وأدبارهم فذلك معناه أن الاستئصال آكد في حق أوائل القوم وهواديهم .

ومن سور القرآن الكريم الّتي تحدّثت عن هودٍ عليه السّلام وقومه حديثاً مستفيضاً

(١) تفسير الطّبريّ ١٢٤/٧ .

سورة الأحقاف وذلك في قوله تعالى[1] : ﴿ واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النّذر من بين يديه ومن خلفه ألاّ تعبدوا إلاّ الله إنّي أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم . قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصّادقين . قال إنّما العلم عند الله وأبلّغكم ما أرسلت به ولكنّي أراكم قوماً تجهلون . فلمّا رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارضٌ ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريحٌ فيها عذابٌ أليم . تدمّر كلّ شيءٍ بأمر ربّها فأصبحوا لا يُرى الاّ مساكنُهم كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ .

---

(١) سورة الأحقاف ٢١ ــ ٢٥ .

# صالح عليه السلام وقومه

## الآيات (٧٣ - ٧٩)

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

كما أرسل الله تعالى نوحاً إلى قومه وهوداً إلى عاد في جنوب الجزيرة أرسل صالحاً إلى ثمود في شمال جزيرة العرب وكانت مساكنهم الحِجر بين الحجاز والشّام إلى وادى القرى وما حوله[1] وإنّ آثار ثمود حالياً من أوضح الآثار وأشهرها في جزيرة العرب وتعرف بالعلا أو مدائن صالحَ . والآية الكريمة تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى قد أرسل إلى ثمود أخاهم صالحاً عليه السّلام . وبما أنّ دعوة الرّسل الكرام جميعاً واحدة فإن صالحاً عليه السّلام يأمر قومه بأن يعبدوا الله تعالى وحده لا شريك له . فليس لهم من إلهٍ غيره جلّ وعلا . وبما إنّ القوم قد طلبوا آية على صدقه عليه السّلام فقد كانت الآية ناقةً دالّة على أنّه رسولٌ من ربّ العالمين على نحو ما بيّن قوله تعالى من سورة الشّعراء[2] : ﴿ قالوا إنّما أنت من المسحّرين . ما أنت إلاّ بشرٌ مثلنا فأت بآية إن كنت من الصّادقين . قال هذه ناقةٌ لها شِرْبٌ ولكم شِرْب يومٍ معلوم . ولاتمسّوها بسوءٍ فيأخذكم عذاب يوم عظيم ﴾ إنّ آية صالح عليه السّلام البيّنة ومعجزته الواضحة هى النّاقة التّي خرجت بإذن الله تعالى من صخرةٍ أمام أعين القوم[3] والّتي أمرهم صالح عليه السّلام أن يتركوها تأكل في أرض الله تعالى يوماً وتشرب من عين الماء يوماً ونهاهم عن مسّها بسوءٍ فيأخذهم من ربّهم عذابٌ أليم . وفي اليوم الّذي كانت النّاقة تشرب الماء تقف لهم حتى يحلبوا اللّبن فيرويهم فكانت تصبّ اللّبن صبًّا . ويوم يشربون الماء لا تأتيهم وكان معها فصيل لها[4] .

---

(١) تفسير الطّبريّ ١٥٧/٨ .
(٢) الآيات ١٥٣ ــ ١٥٦ .
(٣) انظر مثلاً تفسير الطّبريّ ١٥٨/٨ .
(٤) تفسير الطّبريّ ١٥٨/٨ .

وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾

يأمر صالحٌ عليه السّلام قومه أن يتّعظوا ويستفيدوا من التّذكّر إذ جعلهم الله سبحانه وتعالى خلفاء في الأرض من بعد عادٍ قوم هودٍ عليه السّلام وأسكنهم من سهولها قصوراً صيفاً ، وينحتون الجبال يتّخذونها بيوتاً شتاءً فليذكروا آلاء الله تعالى ويتفكروا في نعمه ولا يعيثوا في الأرض فساداً بإهلاك الحرث والنّسل : « العَيْث والعِثِيّ يتقاربان نحو جذب وجبذ إلاّ أنّ العيث أكثرُ ما يقال في الفساد الّذي يدرك حِسًّا ، والعِثِيّ فيما يُدْرَك حُكْماً »[1] والعثي : أشدّ الفساد[2] .

قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾

قال أشراف ثمود ومترفوهم الّذين كذّبوا بآيات الله تعالى واستكبروا عن عبادته جلّ وعلا للّذين استضعفوا بسبب فقرهم لمن آمن منهم بالله تعالى ربّاً وبصالحٍ عليه السّلام

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني « عثى » ٣٢٢ .

(٢) الكشّاف ٢١٨/١ والعثيي بضمّ العين وكسر الثّاء وبكسر العين والثّاء .

رسولاً أتعلمون أنّ صالحاً مرسلٌ من ربّه إلينا وإليكم أتصدّقون أنّه رسولٌ من ربّ العالمين . قال المؤمنون المستضعفون إنّا بما أُرْسِل به صالحٌ عليه السّلام مؤمنون فنحن نعبد الله تعالى وحده ونتّبع صالحاً عليه السّلام .

قال الّذين استكبروا لمن آمن إنّا بالّذي آمنتم به كافرون فنحن نعبد الأصنام ولانتّبع صالحاً ولا نصدّقه .

واستمرّ المكذّبون المستكبرون في غيّهم وضلالهم وفي كفرهم وعتوّهم حتّى انتهى بهم الأمر إلى عقر النّاقة مخالفين أمر صالحٍ عليه السّلام عن ربّه جلّ وعلا بألاّ يمسّوها بسوء ، بل إنّهم على غرار الكافرين الحمقى سألوه عاجل العذاب الّذي وعدهم به دليلاً على أنّه رسول ربّ العالمين . جاء في سورة هود[1] قوله تعالى : ﴿ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آيةً فذروها تأكل في أرض الله ولاتمسّوها بسوء فيأخذكم عذابٌ قريب . فعقروها فقال تمتّعوا في داركم ثلاثة أيّام ذلك وعدٌ غير مكذوب ﴾ .

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾

جاء في سورة الحاقّة[2] قوله تعالى : ﴿ الحاقّة . ما الحاقّة . وما أدراك ما الحاقّة . كذبت ثمود وعادٌ بالقارعة . فأمّا ثمود فأهلكوا بالطّاغية ﴾ والمراد بالطّاغية الصّيحة الّتي فاقت كلّ صيحة ، ويلاحظ قدرة هذه الصّيحة على الولوج على القوم البيوت الّتي نحتوها في الجبال . جاء في سورة القمر[3] قوله تعالى : ﴿ إنّا أرسلنا عليهم صيحةً واحدةً فكانو كهشيم المحتظر ﴾ .

لقد أخذت ثمود الرّجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين والمعنى أنّ الصيّحة الواحدة الّتي

---

(١) الآية ٦٤ ــ ٦٥ .

(٢) الآيات ١ ــ ٥ .

(٣) الآية ٣١ .

ما احتاجوا غيرها رافقتها الزّلزلة الشّديدة من الأرض . والعادة جرت أنّ الإنسان حينما يمرّ بمثل هذا الصّوت أو بمثل هذه الزّلزلة أن يبرك على قدميه وأن يسدّ أذنيه . إنّ ثمود رغم سدّهم آذانهم من الصّيحة وجثوّهم على الرّكب من الزّلزال أصبحوا في ديارهم جاثمين على الرّكب هامدين . جاء في سورة هود[1] قوله تعالى : ﴿ فلمّا جاء أمرنا نجّينا صالحاً والّذين آمنوا معه برحمةٍ منّا ومن خِزْى يومئِذ . إنّ ربّك هو القويّ العزيز . وأخذ الّذين ظلموا الصّيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين . كأن لم يغنوا فيها . إلا إنّ ثمود كفروا ربّهم ألا بعداً لثمود ﴾ .

إنّ صالحاً عليه السّلام انصرف عن قومه بعد أن أنذرهم عذاب الله تعالى وقال لهم مودّعا يا قوم إنّي قد أبلغتكم رسالة ربّي جلّ وعلا بعبادته تعالى وحده لا شريك له ونبذ الأصنام وأخلصت لكم النصيحة ولكنّكم لحسرتي وأساي لا تحبّون النّاصحين ولا تصغون لأقوالهم ولا تعملون بنصائحهم .

---

(١) الآيات ٦٦ ــ ٦٨ .

# لوط عليه السلام وقومه

## الآيات (٨٠ - ٨٤)

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾

لوطٌ عليه السّلام هو ابن هارون بن آزر وهو ابن أخى إبراهيم الخليل عليهما السّلام وكان قد آمن مع إبراهيم عليه السّلام وهاجر معه إلى أرض الشّام فبعثه الله إلى أهل سدوم وما حولها من القرى[1] وذكر الميدانّي في كتاب الأمثال أنّ سدوم هى سَرمين بلدةٌ من أعمال حلب معروفة عامرة عندهم[2] .

تقرّر الآية الكريمة إنّ الله سبحانه وتعالى الّذي أرسل نوحاً وهوداً وصالحاً عليهم السّلام أرسل لوطاً عليه السّلام إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى ويحرّم عليهم الخبائث والفواحش وها هو ذا عليه السّلام يسألهم في إنكار : أتاتون الفاحشة وتعلون الذّكران ما سبقكم بفاحشة اللّواط أحدٌ من العالمين . ويقال إنّ أول من أتى هذه الفاحشة قوم لوط . وذكر المفسّرون أنّ الرّجال كانوا قد استغنى بعضهم ببعض وكذلك نساؤهم كنّ قد استغنين بعضهنّ ببعضٍ أيضا[3] .

وانظر إلى استعمال جملة تأتون في هذه المناسبة دليلاً على وجوب الابتعاد كلّيّةً عن هذا الصّغار . والمعروف أنّ أتى تستعمل في القرآن الكريم دليلاً على البعد . فالمطلوب من قوم لوطٍ عليه السّلام أن تكون هذه الفاحشة بمنأى عنهم .

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

يستمر لوطٌ عليه السّلام في الإنكار على قومه قائلاً إنّكم لتأتون الرّجال وتعلون

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٣٠ .

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي : « سدوم » .

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٢٣٠ .

الذّكران من دون النّساء اللّاتي جعلهنّ الله سبحانه وتعالى للرّجال لباساً وسكناً كما جعل الرّجال لهنّ كذلك . إنّ حقيقة قوم لوطٍ عليه السّلام أنّهم قومٌ مسرفون متجاوزون الحدّ الّذي حدّه الله تعالى متنكّبون الطّريق الصّحيح والصّراط المستقيم .

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾

إنّ قوم لوطٍ عليه السّلام بدلاً من أن يعودوا إلى جادّة الصّواب ويتوبوا إلى بارئهم جلّ وعلا لا يكون جوابهم له عليه السّلام وردّهم عليه إلاّ إن قالوا أخرجوا لوطاً وقومه من قريتكم إنّهم إناسٌ يتطهّرون عن إيتان الرّجال ويتنزّهون عمّا تأتونه من اعتلاء الذّكران .

والحقيقة أنّ الآية الكريمة تكشف عن دفائن النّفوس الخبيثة الّتي لا ترتاح لتّميّز نفوسٍ سواها بالاستقامة على المحجّة لذلك هي لا تهدأ ثائرتها على المستقيم حتّى ينحرف مثلها أو يفارقها وقد قال عثمان بن عفان رضي الله عنه : ودّت الزّانية لو زنى النّساء كلّهن[1] .

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

حينما أراد الله سبحانه وتعالى أن يهلك أهل قرى قوم لوطٍ عليه السّلام بقلب القرى رأساً على عقب أعلم لوطاً عليه السّلام كي يترك القوم الظّالمين ينالون جزاءهم ويصادفون مصيرهم . إنّ الآية الكريمة الأولى تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى أنجى لوطاً عليه السّلام وأهله الّذين آمنوا معه إلاّ امرأته كانت من الغابرين في العذاب بسبب كفرها ومعاونتها قومها على الانحراف عن سواء السّبيل .

---

(١) الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لابن تيمية ص ٤٦ وانظر الكلام العظيم الّذي كتبه ابن تيمية ص ٤٥ .

وإنّ الآية الثّانية تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى أمطر على قرى قوم لوطٍ مطراً من السّماء حبّاته ليس قطرات الماء ولكن سجّيل الحجارة وبهذا اصطلح على القوم الزّلزلة من تحتهم وإمطارهم بالحجارة من فوقهم .

وإنّ القول : ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ يتّجه فيه الخطاب إلى المصطفى ﷺ ابتداءً وإلى كلّ فرد من أفراد هذه الأمّة اتّباعاً ، والمراد انظر ببصيرتك وتدبّر بفكرك كيف كان عاقبة هؤلاء المجرمين الّذين كذّبوا واستكبروا وأتوا في ناديهم المنكر الّذي ما سبقهم إليه أحدٌ من العالمين .

وممّا جاء عن إبراهيم ولوطٍ عليهما السّلام قوله تعالى في سورة الذّاريات[1] : ﴿ قال فما خطبكم أيّها المرسلون . قالوا إنّا أرسلنا إلى قومٍ مجرمين . لنرسل عليهم حجارة من طين . مسوّمةً عند ربّك للمسرفين . فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين . وتركنا فيها آيةً للّذين يخافون العذاب الأليم ﴾ وقوله تعالى في سورة هود[2] : ﴿ فلمّا ذهب عن إبراهيم الرّوع وجاءته البُشرى يجادلنا في قوم لوط . إنّ إبراهيم لحليمٌ أوّاهٌ منيب . يا إبراهيم أعرض عن هذا إنّه قد جاء أمر ربّك وإنّهم آتيهم عذابٌ غير مردود . ولمّا جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يومٌ عصيب . وجاءه قومه يُهْرَعُون إليه ومن قبل كانوا يعملون السّيئات . قال يا قوم هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم فاتّقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجلٌ رشيد . قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حقّ وإنّك لتعلم ما نريد . قال لو أنّ لي بكم قوّة أو آوي إلى ركنٍ شديد . قالوا يا لوط إنّا رسل ربّك لن يصلوا إليك فأسْر بأهلك بقطْعٍ من اللّيل ولا يلتفت منكم أحدٌ إلاّ امرأتك إنّه مصيبُها ما أصابهم إنّ موعدهم الصّبح . أليس الصّبح بقريب . فلمّا جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجّيل منضود . مسوّمةً عند ربّك وما هي من الظّالمين ببعيد ﴾ .

---

(١) الآيات ٣١ ــ ٣٧ .

(٢) الآيات ٧٤ ــ ٨٣ .

# شعيب عليه السلام وقومه

## الآيات (٨٥ - ٨٧)

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ
رَبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

كما أرسل الله تعالى نوحاً وهوداً وصالحاً ولوطاً عليهم السّلام إلى أقوامهم يدعونهم إلى عبادة الله تعالى أرسل إلى مدين أخاهم شعيباً عليه السّلام . ومدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة وهى الّتي بقرب معان من طريق الحجاز[1] وشعيبٌ عليه السّلام يقال له خطيب الأنبياء لفصاحة عبارته وجزالة موعظته[2] والآية الكريمة تقرّر أنّ شعيباً عليه السّلام أرسله الله تعالى إلى أهل مدين فقال لهم في ألطف أسلوب يا قوم اعبدوا الله تعالى وحده لا شريك له ما لكم من إلهٍ غيره ولا معبود سواه جلّ وعلا . قد جاءتكم بيّنة من ربّكم ووصلت إليكم حجّةٌ واضحة دالّة على صدقي فأوفوا الكيل والميزان إذا بعتم وإذا اشتريتم ولا تبخسوا النّاس أشياءهم ولا تظلموهم حقوقهم ولا تفسدوا في الأرض مادّيّاً ومعنويّاً بعد إصلاحها بإرسال المرسلين . إنّ ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم إن كنتم مؤمنين باللّه تعالى ربّاً .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٣١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٣١ .

وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾

استمراراً لتطفيف أهل مدين الكيل والوزن هم يقطعون الطّريق ماديّاً ومعنويّاً ، وكما نهاهم شعيب عليه السّلام عمّا سبق من آثامٍ أشارت إليها الآية الكريمة السّابقة ينهاهم عليه الصّلاة والسّلام في هذه الآية الكريمة عن أن يقعدوا بكلّ صراط ويكمنوا بكلّ طريق يوعدون ويهدّدون النّاس بالقتل إن لم يعطوهم أموالهم كما ينهاهم عليه الصّلاة والسّلام وقد كفروا وكذّبوا واستكبروا عن أن يصدّوا غيرهم عن سبيل الله تعالى وصراطه المستقيم من آمن به جلّ وعلا ومن رغب في الإيمان ، كما نهاهم عليه الصّلاة والسّلام عن أن يبغوا الطّريق عوجاً والسّبيل ملتوية تؤدّي إلى مهاوي الرّدى ونار جهنم .

ويأمرهم عليه الصّلاة والسّلام أن يذكروا ويشكروا لله تعالى فضله عليهم إذ كانوا قليلي العدد والعدّة فكثّرهم وأصبحوا كثيري العدد والعدّة ، كما يأمرهم بأن ينظروا بعين البصيرة كيف كان عاقبة المفسدين السّابقين الّذين دمّر الله سبحانه وتعالى عليهم وأخذهم أخذ عزيزٍ مقتدر .

وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ
وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ
الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

كان قوم شعيب عليه السّلام منه فريقين ، مؤمناً وكافرا ، وتمشيّاً مع قوله تعالى في

سورة سبأ[1] : ﴿ وإنّا أو إيّاكم لعلى هدىً أو في ضلالٍ مبين ﴾ يخاطب شعيبٌ عليه السّلام قومه كما جاء في الآية الكريمة فيقول لهم : إن كان طائفةٌ منكم آمنوا بالّذي أرسلني به الله تعالى إليكم من عبادةٍ لله تعالى وحده لا شريك له والسّير في الصّراط المستقيم وفق منهج الله تعالى وطائفةٌ أخرى لم يؤمنوا بل كفروا وكذّبوا واستكبروا فاصبروا أيّها الكافرون حتّى يحكم الله بيننا وبينكم وانتظروا حتّى يفصل الله بيننا وبينكم وهو جلّ وعلا خير الحاكمين وأعدل الفاصلين لا رادّ لفضله ولا معقّب لحكمه عزّ وجلّ .

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين .

**كتبه الفقير إلى عفو ربّه**
**د . حسن محمّد باجودة**
**رئيس لجنة تحكيم مسابقة القرآن الكريم**
**الدّولية بالمملكة العربية السّعوديّة**

---

(١) الآية ٢٤ .

| الموضـــــوع | رقم الآيات | رقم الصّفحة |
|---|---|---|
| المقدمة | | ٥ |
| **أوّلاً** : تمام سورة الأنعام | | ٧ |
| بين يدي التّفسير | | ١٩ |
| التّفسـير | | ٣١ |
| الأمور كلّها رهن مشيئة منزّل القرآن الكريم الصّادق في الأقوال العادل في الأحكام | ١١١ ــ ١١٧ | ٣٣ |
| كلوا ممّا ذُكِر اسم الله عليه ولا تطيعوا شياطين الإنس والجنّ | ١١٨ ــ ١٢١ | ٤١ |
| الإيمان حياةٌ والكفر ممات ومكر الكافرين بأنفسهم وثواب من شرح الله صدره للإسلام فأسلم | ١٢٢ ــ ١٢٧ | ٤٩ |
| النّار مثوى كافري الجنّ والإنس مكذّبي الرّسل وتخديرٌ للظّالمين | ١٢٨ ــ ١٣٥ | ٥٩ |
| قد خسر وضلّ الّذين افتروا على الله كذباً وقتلوا أولادهم وحرّموا ما رزقهم الله | ١٣٦ ــ ١٤٠ | ٦٧ |
| الله خالق الجنّات والأنعام وله وحده حقّ التّحريم علينا وعلى الّذين من قبلنا | ١٤١ ــ ١٤٧ | ٧٧ |
| المشركون يتّبعون الظّنّ ولله الحجّة البالغة وبيان ما حرّم الله علينا وأمرنا باتّباعه واجتنابه | ١٤٨ ــ ١٥٣ | ٩٣ |
| آتى الله موسى التّوراة وآتى محمّداً القرآن فآمنوا وافعلوا الخير قبل فوات الأوان | ١٥٤ ــ ١٥٨ | ١٠٧ |
| اعتصموا بحبل الله وافعلوا الخير وأسلموا واعبدوه وتوكّلوا عليه إليه المصير | ١٥٩ ــ ١٦٥ | ١١٥ |
| **ثانياً** : سورة الأعراف حتّى نهاية الجزء الثّامن | | ١٢٥ |
| بين يدي التّفسير | | ١٣٩ |
| التّفسـير | | ١٥٣ |
| الرّسول ينذر بالقرآن الكريم الكافرين ويبشّر المؤمنين وللكافرين عذابٌ أليم وللمؤمنين ثوابٌ عظيمٌ في الأولى والآخرة | ١ ــ ١٠ | ١٥٥ |
| عداوة إبليس لآدم عليه السّلام وذرّيته أزليّة | ١١ ــ ٢٥ | ١٦٣ |
| توجيهاتٌ قرآنيّة لبني آدم | ٢٦ ــ ٣٦ | ١٧٧ |
| عذاب الظّالمين المكذّبين وثواب المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات | ٣٧ ــ ٤٣ | ١٨٩ |
| أصحاب الجنّة والنّار والأعراف | ٤٤ ــ ٥١ | ١٩٧ |
| الله تعالى الّذي له الخلق والأمر والمعاد صرّف آيات الكتاب المفصّل فاتّبعوه واشكروا له تفوزوا | ٥٢ ــ ٥٨ | ٢٠٣ |
| نوحٌ عليه السّلام وقومه | ٥٩ ــ ٦٤ | ٢١١ |
| هودٌ عليه السّلام وقومه | ٦٥ ــ ٧٢ | ٢١٧ |
| صالحٌ عليه السّلام وقومه | ٧٣ ــ ٧٩ | ٢٢٥ |
| لوطٌ عليه السّلام وقومه | ٨٠ ــ ٨٤ | ٢٣١ |
| شعيبٌ عليه السّلام وقومه | ٨٥ ــ ٨٧ | ٢٣٧ |
| فهرس الموضوعات | | ٢٤٢ |

# قائمة بالأعمال العلمية للأستاذ الدكتور/ حسن محمد باجودة

**أولاً : في الدراسات القرآنية البيانية والإسلامية :**

١ ــ الوحدة الموضوعية في سورة يوسف عليه السلام . الطبعة الأولى بالقاهرة ، سنة ١٩٧٤م ، والطبعة الثانية في مؤسسة تهامة بجدة سنة ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م ، ويقع في ٥٥٠ صفحة ، وترجم إلى الإنجليزية .

٢ ــ تأملات في سورة مريم . الطبعة الأولى على نفقة جامعة الملك عبد العزيز ، سنة ١٣٩٦هـ بعنوان : منعمٌ عليهم ومغضوب . والطبعة الثانية في القاهرة ، سنة ١٩٧٨م ، ويقع في ٢١٤ صفحة .

٣ ــ تأملات في سُورة يس قلب القرآن . الطبعة الأولى بالقاهرة ، سنة ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م ، واستقر طبعه سنوياً بمعدل عشرة آلاف نسخة ، ويقع في ١٤٠ صفحة ، ويطبع في تونس .

٤ ــ تأملات في سورة الإسراء . الطبعة الأولى بالقاهرة ، سنة ١٩٧٨م ، ويقع في ٣٣٤ صفحة . ويطبع في تونس .

٥ ــ تأملات في سورة الفرقان . الطبعة الأولى بالقاهرة ، سنة ١٩٧٧م ، ويقع في ٢٠٠ صفحة .

٦ ــ تأملات في سورة العاديات . الطبعة الأولى بالقاهرة ، سنة ١٩٧٧م ، ويقع في ٣٧ صفحة .

٧ ــ تأملات في سورة النازعات . الطبعة الأولى بالقاهرة ، سنة ١٩٧٧م ، ويقع في ١١٨ صفحة ، ويطبع في تونس .

٨،٩ــ تأملات في سورة الحاقة . الطبعة الأولى بالقاهرة ، سنة ١٩٧٧م ، ويقع في ١٣٨ صفحة ، وألحق به دراسة عن فرية الغرانيق ، ويطبع في تونس .

١٠ــ تأملات في سورة الرعد . الطبعة الأولى بالقاهرة ، سنة ١٩٧٩م ، ويقع في ٢٣٨ صفحة .

١١ــ تأملات في سورة محمد ﷺ . الطبعة الأولى بالقاهرة ، سنة ١٩٨٠م ، ويقع في ٢٧٠ صفحة .

١٢ــ تأملات في سورة الفاتحة . وقد افتتحت به رابطة العالم الإسلامي سلسلة دعوة الحق . وتطبعه الرابطة تباعاً . ويقع في ١٥٠ صفحة . وطبع في القاهرة ، سنة ١٩٨٠م ، وطبع في الجزائر وبيروت ، وترجم إلى اللغة اليوغسلافية .

١٣ــ تأملات في سورة الأحزاب . الطبعة الأولى في مكة المكرمة ، ضمن مطبوعات نادي مكة المكرمة الثقافي ، سنة ١٤٠٣هـ ، ويقع في ٥٩٦ صفحة .

١٤ــ تأملات في سورة البقرة . المخطوط في ٢٣٠٠ صفحة .

١٥ــ تأملات في سورة آل عمران . المخطوط في ٦٠٠ صفحة .

١٦ــ معجزة القرآن الكريم البيانية . محاضرة ألقيت في نادي الطائف الأدبي ومن مطبوعاته ، سنة ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م ، وتقع في ٣٠ صفحة .

١٧ــ نهوض القرآن بخصائص اللغة العربية . محاضرة ألقيت في نادي مكة المكرمة الثقافي ومن مطبوعاته ، سنة ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م ، وتقع في ٦٠ صفحة .

١٨ــ نظم القرآن . دراسة نشرت في ثلاث حلقات بمجلة التضامن الإسلامي ، سنتي ١٣٩٧هـ/١٣٩٨هـ .

١٩ــ دروس مستفادة من شخصية يوسف عليه السلام . محاضرة ألقيت في موسم رابطة العالم الإسلامي ، سنة ١٣٩٢هـ ، ونشرت ضمن أعماله ، ونشرت في مجلة التضامن الإسلامي .

٢٠ــ نظرات بيانية في تفسير القرآن الكريم . محاضرة ألقيت في موسم رابطة العالم الإسلامي ، سنة ١٣٩٧هـ ، ونشرت في مجلة رابطة العالم الإسلامي ، في عددي شعبان ورمضان ، سنة ١٤٠٢هـ .

٢١ــ دروس مستفادة من سورة الفاتحة . محاضرة ألقيت في موسم رابطة العالم الإسلامي ، سنة ١٣٩٨هـ .

٢٢ــ لكم في رسول الله أسوة حسنة . محاضرة ألقيت في موسم رابطة العالم الإسلامي ، سنة ١٣٩٩هـ .

٢٣ــ دروس من بيعة العقبة . دراسة نشرت في العدد رقم ٢٦ من ملحق جريدة المدينة ، وهو العدد الخاص عن مكة المكرمة بمناسبة مؤتمر القمة الإسلامي .

٢٤ــ معاملة الأسرى في الإسلام . دراسة نشرة في العدد الرابع للسنة الرابعة من رسالة المسجد .

٢٥ــ أركان الإسلام . المخطوط يقع في ٦٣ صفحة من الفولسكاب ، وأريد به التعريف بالإسلام .

٢٦ــ المجتمع المسلم كما أراده القرآن الكريم . محاضرة ألقيت في موسم رابطة العالم الإسلامي ، سنة ١٤٠١هـ ، ونشر بعضها في مجلة التضامن الإسلامي في أعداد شهور محرم وربيع الثاني وجمادى الأولى ، سنة ١٤٠٣هـ .

٢٧ــ الأخوّة الإسلامية . دراسة نشرت في مجلة التضامن الإسلامي ، عددي جمادى الأولى والآخرة ، سنة ١٣٩٧هـ .

٢٨ــ المسلمون في أستراليا . محاضرة ألقيت في موسم رابطة العالم الإسلامي ، سنة ١٣٩٦هـ ، ونشرت في مجلة التضامن الإسلامي ، عدد محرم وصفر ، سنة ١٣٩٧هـ ، وفي مجلة منار الإسلام عدد ربيع الآخر سنة ١٣٩٨هـ ، بدولة الإمارات العربية .

٢٩ــ حضارة شابة عمادها الشباب . محاضرة ألقيت في نادي الوحدة الثقافي ، بتاريخ ٢٤ رمضان سنة ١٣٩٧هـ ، ونشرت في ثلاث حلقات بمجلة التضامن الإسلامي ، أعداد رجب وشعبان وشوال ، سنة ١٣٩٨هـ .

٣٠ــ العلم والعمل من أجل مستقبل زاهر للإسلام . طبع في العدد الأول من مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، سنة ١٤٠١هـ/١٤٠٢هـ .

٣١ــ ترجمة معاني القرآن الكريم وأثر الترجمة في نشر الدين الإسلامي . دراسة ألقيت في الندوة التي عقدتها رابطة العالم الإسلامي ، في ذي الحجة ، سنة ١٤٠١هـ .

٣٢ــ من صفات الرسول ﷺ . القاهرة ، سنة ١٩٨٣هـ ، في ٩٠ صفحة . بحث ألقي في المؤتمر العالمي الثاني للقرآن الكريم ، الذي انعقد في مدينة دلهي في الهند ، في ديسمبر سنة ١٩٨٢م .

٣٣ــ العلاقة بين الإسلام والعلم في ضوء القرآن والسنة . محاضرة ألقيت في موسم رابطة العالم الإسلامي ، سنة ١٤٠٢هـ ، المخطوط في ٥٠ صفحة .

٣٤ــ مجموعة الدراسات التي ألقيت في الاحتفال الدولي السنوي الرابع لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره ، الذي عقد في مكة المكرمة ، ونشر بعضها ضمن ملحق مجلة التضامن الإسلامي ، لشهر رجب سنة ١٤٠٢هـ .

٣٥ــ مجموعة الدراسات التي ألقيت في الاحتفال الدولي السنوي الخامس لتلاوة القرآن

الكريم وتجويده وتفسيره ، الذي عقد في مكة المكرمة ، ونشر بعضها ضمن ملحق مجلة التضامن الإسلامي ، لشهر رجب سنة ١٤٠٣هـ .

٣٦ــ التفسير البسيط للقرآن الكريم ، الجزء الأول ، جدة ، سنة ١٤٠٣هـ ، في ٢٤٣ صفحة .

٣٧ــ التفسير البسيط للقرآن الكريم ، الجزء الثاني ، جدة ، سنة ١٤٠٤هـ ، في ٣١٨ صفحة .

٣٨ــ التفسير البسيط للقرآن الكريم ، الجزء الثالث ، جدة ، سنة ١٤٠٥هـ ، في ٣٤٣ صفحة .

٣٩ــ التفسير البسيط للقرآن الكريم ، الجزء الرابع ، جدة ، سنة ١٤٠٦هـ ، في ٣٠١ صفحة .

٤٠ــ التفسير البسيط للقرآن الكريم ، الجزء الخامس ، مكة ، سنة ١٤٠٧هـ ، في ٢٥٦ صفحة .

٤١ــ التفسير البسيط للقرآن الكريم ، الجزء السادس ، مكة ، سنة ١٤٠٨هـ ، في ٣٠٢ صفحة .

٤٢ــ التفسير البسيط للقرآن الكريم ، الجزء السابع ، مكة ، سنة ١٤٠٩هـ ، في ٢٥٤ صفحة .

٤٣ــ التفسير البسيط للقرآن الكريم ، الجزء الثامن ، مكة ، سنة ١٤١٠هـ ، في ٢٤٤ صفحة .

٤٤ــ من مظاهر إعجاز القرآن الكريم صوتياً . محاضرة ألقيت في نادي مكة المكرمة الثقافي ، في شهر جمادى الآخرة سنة ١٤٠٣هـ ، ( مخطوط ) .

٤٥ــ معان أُخَر للفظة مسجد في القرآن الكريم . بحثٌ عُمِلَ من أجل المؤتمر العالمي الثالث للقرآن الكريم ، الذي انعقد في مدينة دلهي ، سنة ١٩٨٤م ، ونشر في مجلة التضامن الإسلامي .

٤٦ــ من مظاهر إعجاز الآيات الكونية في سورة البقرة . بحث عُمِلَ من أجل مؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن ، الذي انعقد في إسلام أباد في الباكستان ، سنة ١٤٠٨هـ .

٤٧ــ من مظاهر إعجاز آية من آيات الأحكام في سورة البقرة : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهنّ .. ﴾ . محاضرة ألقيت في الموسم الثقافي لقسم الدراسات العليا العربية ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، بتاريخ ١٤٠٧/٢/٣هـ .

٤٨ــ خطة لنشر تعليم وتحفيظ القرآن الكريم في العالم الإسلامي . بحث عُمِلَ من أجل مؤتمر الدعوة الإسلامية وسبل تطويرها . نظرةٌ إلى المستقبل ، الذي انعقد في شهر صفر ، سنة ١٤٠٨هـ ، ونشر في صحيفة الرابطة في حلقات .

٤٩ــ التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية وفرصها في التغلب عليها . بحث أُلقي في

مؤتمر الدعوة الإسلامية ، الذي انعقد في سنغافورة ، سنة ١٩٨٦م .

٥٠ــ القرآن الكريم وموقفه من العلم الحديث . بحث أُلقي سنة ١٤٠٨هـ ، في الملتقى الإسلامي الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي في الصين الشعبية .

٥١ــ معان خاصة ببعض ألفاظ الذكر الحكيم . محاضرة أُلقيت في نادي جدة الأدبي ، في ١٤١٠/٤/١٤هـ .

**ثانياً : في اللغة العربية والتراث الإسلامي :**

٥٢ــ شعر أهل المدينة المنورة ( درجة الدكتوراه ) . وهذه الرسالة جمعت شعر أهل المدينة من غير ذوي الدواوين المخطوطة من العصر الجاهلي إلى نهاية عصر بني أمية ، وشملت كذلك مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وتضمنت شعر ما يزيد على المائة والخمسين شاعراً وشاعرة ، وقد أوصت جامعة لندن بطبع الرسالة في الصورة التي قدمت فيها للمناقشة .

٥٣ــ ديوان عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي ، شاعر الرسول ﷺ ، جمع وتحقيق . الطبعة الأولى بالقاهرة ، سنة ١٩٧٢م ، ويقع في ١١٦ صفحة .

٥٤ــ ديوان أبي قيس صيفيّ بن الأسلت الأوسي الجاهلي ، دراسة جمع وتحقيق . الطبعة الأولى بالقاهرة ، سنة ١٩٧٣م ، ويقع في ١٠٠ صفحة .

٥٥ــ ديوان أحيحة بن الجلاح الأوسي الجاهلي . نشر في نادي الطائف الأدبي ، سنة ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م ، ويقع في ٩٠ صفحة .

٥٦ــ الشعر الجاهلي بين الأصالة والانتحال . من مطبوعات جامعة الملك عبد العزيز ، ضمن أعمال المؤتمر الأول للأدباء السعوديين الذي أقامته جامعة الملك عبد العزيز في مكة المكرمة ، في الفترة من ١ ــ ٥ ربيع الأول سنة ١٣٩٤هـ .

٥٧ــ تراثنا الإسلامي ودور الجامعة في حفظه . بحث في ٥٠ صفحة فولسكاب ، طبع ضمن بحوث مؤتمر رسالة الجامعة الذي عقدته جامعة الرياض ، في الفترة من ٢ ــ ١٣٩٤/١١/٥هـ ، وطبع في بضع حلقات من مجلة التضامن الإسلامي .

٥٨ــ أضواء على النهضة التعليمية في المملكة العربية السعودية . بحث نشرته الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، بمناسبة المهرجان الرابع للشباب العرب ، المنعقد في الرباط ، سنة ١٣٩٩هـ .

٥٩ــ اللغة العربية والتربية الإسلامية . بحث نشر ضمن أعمال ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية ، المنعقدة في مكة المكرمة ، سنة ١٤٠٠هـ ، بجامعة الملك عبد العزيز .

٦٠ــ مسئوليتنا تجاه لغة القرآن الكريم . محاضرة ألقيت في موسم رابطة العالم الإسلامي ، سنة ١٤٠٣هـ .

٦١ــ ضرورة التعاون التام بين المسلمين في مجال العلم . بحث عُمِلَ من أجل المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة والدعاة ، الذي عقدته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، سنة ١٤٠٤هـ ، ونشر ضمن أعمال المؤتمر .

٦٢ــ خطّنا الأصيل الجميل والحرب الضروس ضده وطرق حمايته . دراسة نشرت في جريدة عكاظ ، بتاريخ ١٣٩٤/٥/٤هـ .

٦٣ــ خطر الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية في العالم الإسلامي وسبل درء هذا الخطر . بحث عُمِل من أجل ندوة تعليم اللغة العربية ، المنعقدة في الجزائر ، في رجب سنة ١٤٠٤هـ ، المخطوط في ٥٠ صفحة .

**ثالثاً : في اللغة الإنجليزية :**

٦٤ــ The Construction of the Holy Quran . ( مطبوع ) . محاضرة ألقيت في جامعة نيوساوس ويلز بمدينة سدني بأستراليا ، سنة ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٥م .

٦٥ــ Brotherhood in Islam . ( مطبوع ) . محاضرة ألقيت في جامعة نيوساوس ويلز بمدينة سدني بأستراليا ، سنة ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م .

٦٦ــ The Islamic legacy and the role of Saudi Arabia in preserving it . ( مطبوع ) . بحث ألقي في الأسبوع الثقافي السعودي ، الذي عقد في استكهولم بالسّويد ، سنة ١٩٧٨م .

٦٧ــ The Rhetorical Miracle of the Holy Quran . ( مخطوط ) . بحث ألقي في المؤتمر الثقافي ، الذي عقد بمدينة كلبن بأستراليا ، سنة ١٩٧٨م .

٦٨ــ The Pillars of Islam . ( مطبوع ) . بحث ألقي في المؤتمر الثقافي ، الذي عقد بمدينة ملبرن بأستراليا ، سنة ١٩٧٩م .

٦٩ــ The Concept of Reality and Beauty in Islam . ( مخطوط ) . بحث ألقي في المؤتمر الثقافي ، الذي عقد في مدينة أدلايد بأستراليا ، سنة ١٩٨١م .